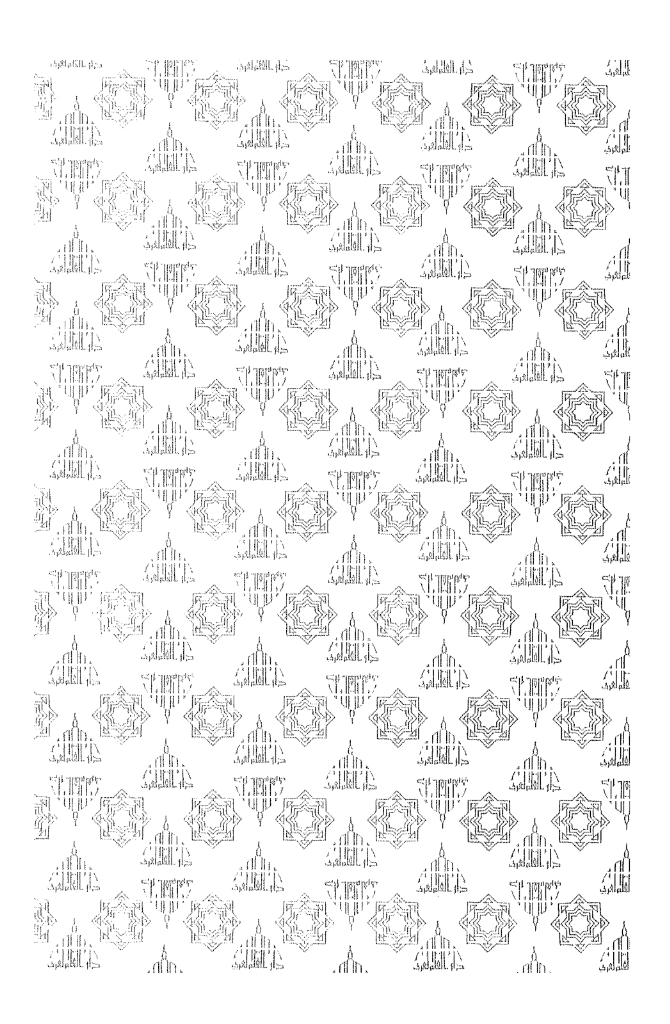
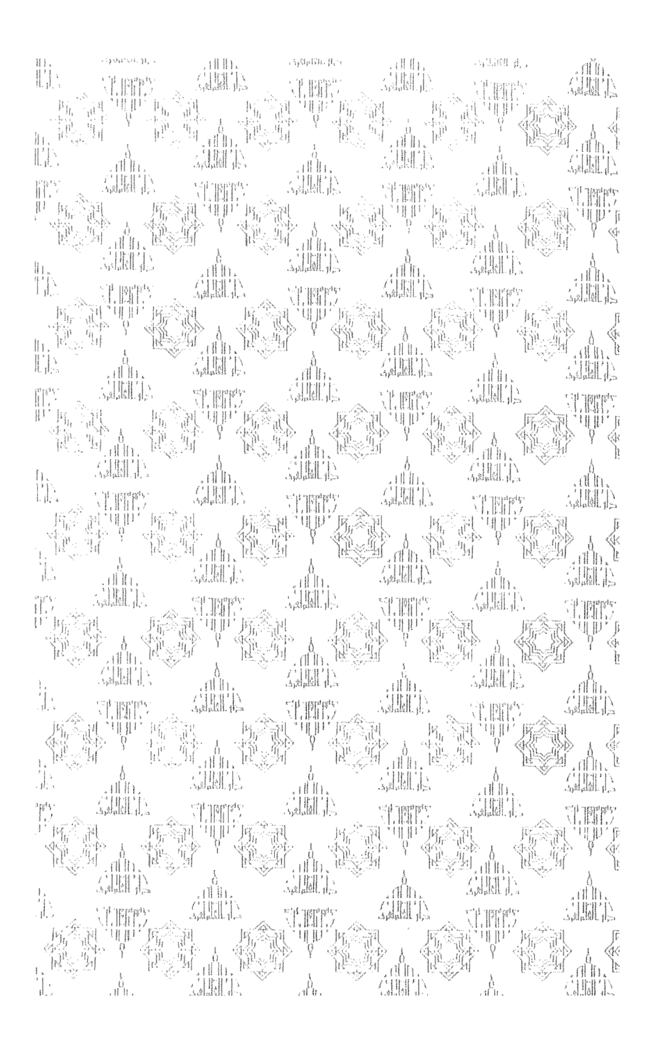
معارك عربية إسلامية خالدة

٧ - معركــة اليرمــوك

٨ - معركــة الجـســر







معارك عربية خالدة

٧

معركة اليرموك

إعداد

عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الأولى

1421 - 1420 هـ 2000 م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

ص.ب :78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

البريد الالكتروني : E-mail : qalam_arabi@naseej.com

بسم الله الرحمن الرحيم

معركة اليرموك

موقعها ــ زمانها ــ أسبابها ــ أحداثها ــ نتائجها

أولاً : موقعها :

في أرضِ اليرموكِ من بلادِ الشام .

وتقع اليوم بين الحدود السورية والأردنية تقريباً .

ثانياً : زمانُها :

اختلف علماءُ التاريخِ الإسلامي في تحديدِ ســـنةِ وقـــوعِ معركةِ اليرموكِ ، فقال سيفُ بنُ عمرَ ، وابنُ جريرٍ الطـبريُّ : كانت معركةُ اليرموكِ في السنةِ الثالثة عشرة للهجرةِ قبل فتحِ دمشق .

وقال ابنُ عساكر ، والكلبيُّ : كانت يومَ الاثنين لخمسٍ مضين من رجب سنة خمسَ عشرةَ بعد فتحِ دمشقَ ، قال ابنُ عساكر : وهذا هو المحفوظُ ، وما قاله سيفٌ من أنها قبلَ فتحِ دمشقَ سنةَ ثلاث عشرةَ فلم يتابعْ عليه [1] والتحقيق أنها كانتْ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وقبل فتحِ دمشقَ لأمورٍ:

أولاً : كون اليرموكِ من الناحية الجغرافية قبلَ دمشقَ بالنسبة للقادم من المدينة المنورةِ ، ولا شكَّ أن الجيوشَ الإسلاميةَ قَدِمتْ من المدينةِ ، واتجهتْ شمالاً إلى الشام فمرَّتْ أولاً باليرموكِ ثم تابعتْ سيرها بعد قتالٍ مريرٍ مع الرومِ متجهةً نحو دمشقَ ، فكان الحصار والقتالُ ، ثمَّ الفتحُ ، وليس من المعقولِ إن تذهبَ الجيوشُ الإسلامية إلى دمشقَ أولاً فتفتحها ثم تعود إلى اليرموك ، فلو ذهبت إلى دمشق أولاً لكان طريقُها إما من جهةِ العراق ،وإما من جهةِ فلسطين ،فلو كان ذلك للقيت مقاومةً عنيفةً من الرومِ الذين يحمون هذين الطريقين

[1] البداية والنهاية لابن كثير .

حمايةً شديدةً خاصـــــةً وأن جنودهـــم مزروعـــون زرعـــاً ، وموجودون بأعدادٍ هائلةٍ فيـــهما ، وليـــس مـــن الســـهولةِ اختراقُهما.

ثانياً : أن معركة اليرموك كـــانت في حيـــاةِ أبي بكـــــرٍ الصديقِ ﷺ ، وهو الذي أصدرَ أوامرهُ لخالدِ بنِ الوليدِ ﷺ أن يغادرَ أرضَ العراق ويتجه إلى الشام ليكون ردءاً لمن فيها من القادة والأمراءِ المسلمين والدليل على ذلك أن وفاةَ أبي بكـــرٍ الصديق ﷺ كانت أثناء المعركة ، وأن نعيه جاء إلى المســـلمين وهم يقاتلون في اليرمـــوك ، كما أن كتـــاب الخليفة الجديـــد عمر ﷺ الذي يتضمن عزل خالد عن قيادة الجيـــــش جـــاء والمسلمون يقاتلون في اليرموك أيضا كمـــا ســـيأتي بيانـــه في موضعه إن شاء الله تعالى .

ثالثا : المعروف أن مدة خلافة أبي بكر الصديقﷺ دامت سنتين وثلاثة أشهر ، فقد توفي ﷺ يوم الاثنين لثمان بقين مـــن جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض دام خمسة عشـــــر يوما، وهذا يعني أن جميع هذه الأحداث كانت قبل فتح مدينة

دمشقَ، الأمرُ الذي يجعلنا نقطعُ بأن معركةَ اليرموكِ كـــانت سنةَ ثلاثَ عشرةَ من هجرةِ النبي ﷺ .

رابعاً : أن الخليفةَ الأول أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه لم يشهدْ فتحَ دمشقَ لأن وفاتهُ كانت قبل ذلك ، والمعروفُ أنها فُتحـــتْ في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه ، ولعلّ جميعَ هذه الأدلة تشـيرُ إلى معركةَ اليرموكِ وقَعتْ قبل فتح دمشق ، بل وفي السنةِ الثالثـةَ عشرة ... والله أعلم .

ثالثاً : أسبابها :

لمعركة اليرموكِ عدةُ أسبابٍ نوجزها في الصفحات القليلة التاليةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وذلكَ بالعودة أولاً إلى حياة الرسولِ العربي محمد ﷺ ، وبالتحديد إلى السنةِ الخامسةِ للهجرة حيث كانت أحداثُ معركةِ الأحزابِ (الخندق) تلــــك المعركـــةِ الخالدةِ التي خَلّدَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذكراها في كتابهِ العزيز بقولِـــهِ تعالى : ﴿يأأيها الذين آمنوا اذكـــروا نعمـــةَ الله عليكـــم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكـــان الله

بما تعملون بصيراً. إذ جاءوكم مِنْ فوقكم ومنْ أسفل منكم وإذ زاغتِ الأبصارُ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتليَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً ﴾[1] .

إنه تصويرٌ رائعٌ للموقفِ برُمّته ، وتعبيرٌ بليغٌ لحالةِ الخوفِ والكربِ والضيقِ التي أصابتِ المسلمين حين فوجئوا بهذا الكمّ الهائلِ من الأحزاب.

في هذه الظروف القاسية ، واللحظاتِ الحرجةِ ، والمواقف الرهيبةِ ، والحالةِ النفسيةِ الصعبةِ لدى المسلمين جاء سلمانُ الفارسيُّ ﷺ فاقترح على رسولِ الله ﷺ اقتراحاً يخرجُ المسلمين مّماهُمْ فيه من ابتلاءٍ واختبارٍ وقسوةٍ وتمحيصٍ فقلل : يارسولَ الله، إنّا كنّا بفارسَ إذا حوصِرْنا حفرنا خندقاً يمنعُ من وصول العدوّ ، فاقتنع النبيُّ ﷺ بالفكرةِ ، وأُعجبَ بها ، وأمر على الفورِ بحفرِ الخندقِ ، فاستجاب المسلمون لهذا الأمرِ وانطلقوا بكلِ رغبةٍ وصدقٍ وإخلاصٍ لتنفيذهِ .

---

(١) الآيات ٩ ــ ١١ من سورة الأحزاب .

وبينما هم يحفرون إذ اعترضتهم صخرةٌ عظيمةٌ حالت بينهم وبين الحفرِ ، فذهب بعضهم يشكو ذلك إلى رسولِ الله ﷺ ، فقام وأخذ المعولَ فرفعه وتلا قولَ الله تعالى: ﴿وتَمَّتْ كلمةُ ربكَ صدقاً وعدلاً لا مبدلَ لكلماتهِ وهو السميعُ العليمُ﴾[1] ثم أهوى بالمعولِ فتحطم ثلث الحجرِ ، وبرقَ برقةً شديدةً أذهلتِ المسلمين ، فقال النبيُّ ﷺ : الله أكبرُ ، أُعطيتُ مفاتيحَ الشامِ والله إني لأرى قصورها الحمراءَ الآنَ من مكاني هذا .

ثمَّ ضربَ ضربةً أخرى وتلا نفسَ الآيةِ ، وأهوى بالمعولِ فتحطمَ الثلثُ الآخرُ وقال : الله أكبرُ ، أُعطيتُ مفاتيحَ فارسَ، والله إني لأرى قصرَ المدائنِ الأبيضَ الآن من مكاني هذا .

ثم ضرب ضربةً ثالثةً وتلا نفسَ الآيةِ ، وأهوى بالمعولِ فتحطمَ الحجرُ كُلهُ وقال : الله أكبرُ ، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ ، واللهِ إني لأرى باب صنعاءَ .

---

[1] الآية ١١٥ من سورة الأنعام .

فقال المسلمون : يارسولَ الله ، ادعُ اللهَ أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريَهم ، ويخربَ بأيدينا بلادَهم ... ؟

فدعا لهم النبيُ ﷺ بذلك .

وفي ذلك يقولُ النبيُّ ﷺ: ﴿إذا هلك قيصرٌ فلا قيصرَ بعدَهُ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعدَهُ ، والذي نفسي بيده لتُنفقنَّ كنوزهُما في سبيل الله ﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿إنّ الله زوى[2] ليَ الأرضَ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغُ ملك أمتي مازوى لي منها﴾ [3] .

وصدق رسولُ الله ﷺ فهو الصادقُ المصدوقُ ، والناقلُ عنِ اللهِ تعالى ، وكلُ مايقولهُ حقٌ وصدقٌ ووحيٌ و الهامُ من اللهِ تعالى الذي يقولُ في وصفِ نبيهِ محمدٍ ﷺ: ﴿ وما ينطقُ عنِ الهوى. إنْ هو إلا وحيٌ يوحى ﴾[4] صدق الله العظيم .

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير .

[2] زوى : جمع .

[3] رواه الشيخان .

[4] الآيتان ٣ ـــ ٤ من سورة النجم .

منذ تلك الحادثةِ كان حلمُ افتتاحِ تلك البلادِ وتحريرها من أيدي المحتلين الأجانب يراود أحلامَ النبيّ ﷺ، ويتراءى أمامَهُ في ليلِهِ ونهارِهِ ، ولكنه كان يتريثُ وينتظرُ الفرصةَ المناسبةَ لتحقيقِ أحلامِهِ بتحريرِ عربِ تلك البلادِ وطرد الغزاة الأجانبِ : الفرسِ من اليمنِ ، والشمالِ الشرقي من العراق والرومِ من الشمالِ الغربي من بلادِ الشامِ ، وبذلك تكونُ الأرضُ العربية كلُّها قد تحررتْ من الغزاة المحتلين وعادتْ إلى أصحابها وأهلها الشرعيين ، واتصلتْ حدودها الطبيعية من جبالِ طوروسَ في الشمالِ الغربي، وقمم جبال زاغروس في الشمال الشرقي .

ولا يعني أن هدف النبيّ ﷺ من تحرير الأرض العربية نفيُ عالمية دعوته ورسالتهِ وتخصيصُها بالعربِ ، لا فقد كان هذا في بادئ الأمرِ حين كانت دعوةُ الإسلامِ عربية بحتةً وخاصةً بالعربِ، ولكن حين فتح اللهُ لنبيهِ ﷺ مكةَ ودخل الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً ، وخضع الحجازُ كلُّهُ للدولةِ الإسلاميةِ الفتيةِ ،

أخذتِ الدعوةُ الإسلاميةُ صفةَ العالميـــة ، وشملــتِ العــربَ وغيرَهم، وفي ذلك يقولُ الله تبارك وتعالى :

﴿ وأنزلنا إليكَ الذكرَ لتبينَ للناسِ مانزلَ إليهم ولعلّـــهم يتفكرون ﴾ [1] .

﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناسِ بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكـــثرَ الناسِ لا يعلمون﴾ [2] كما أُمِرَ النـــبيُّ ﷺ بقتـــال الكفـــارِ والمنافقين، بقولِهِ تعالى : ﴿ ياأيها النبيُّ جاهدِ الكفارَ والمنافقين واغلظْ عليهم﴾ [3] وهو عامٌ بقتال جميع الكافرين قال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الديـــنُ كلـــهُ لله ﴾[4] ولفظُ التوكيد يفيد الأمر بقتالِ جميع الكافرين ، وقبل ذلـــك كان الأمرُ مقصوراً على قتال مشركي العربِ فقط ، وذلـــك

---

(1) الآية ٤٤ من سورة النحل .

(2) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(3) الآية ٧٣ من سورة التوبة .

(4) الآية ٣٩ من سورة الأنفال .

بقولِهِ تعالى في سورة البقرة : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـــةٌ ويكونَ الدينُ لله ﴾ [١] إذ لم يُذكر هنا لفظُ التوكيدِ .

وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفارِ وليجدوا فيكم غلِظةً واعلموا أنّ اللهَ مع المتقين ﴾ [٢] .

قال القرطبيُّ : وهو أنه سبحانه عَرَّفَهم كيفيةَ الجهاد وأن الابتداءَ بالأقربِ فالأقربِ من العدوِ ، ولهذا بدأ رسولُ اللهِ ﷺ بالعربِ ، فلما فرغَ قصَد الرومَ وكانوا بالشامِ .

وقال ابنُ زيدٍ : المرادُ بهذه الآيةِ وقتَ نزولها العـــربُ ، فلما فرغَ منهم نزلتْ في الرومِ وغيرهم . [٣]

التمهيد لمعركةِ اليرموكِ :

أراد الرسولُ ﷺ أن يثبت للـــروم المجـاورين للدولـــةِ الإسلاميةِ في أطرافِ الشام أنه قادرٌ على حمايةِ حدودِ دولتـــهِ

---

(١) الآية ١٩٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

(٣) تفسير القرطبي .

والدفاع عنها وردّ أيّ عدوانٍ محتمل عليها ، إذ أصبح عنده جيشٌ يستطيع به مواجهةَ أيةِ قوة مهما بلَغتْ عدتُها وعتادها .

فشكل ﷺ جيشاً قوامُهُ ثلاثةُ آلاف مقاتلٍ ، وعيَّنَ عليه زيدَ بنَ حارثةَ قائداً عاماً وقال لهم : إن أُصيب زيدٌ فجعفر بنُ أبي طالبٍ على الناسِ ، فإن أُصيبَ جعفرٌ فعبد الله بنُ رواحةَ على الناسِ ، وأمرهم أن يذهبوا إلى مؤتةَ ، وهي قريةٌ من أرضِ البلقاءِ في الشام لقتالِ الرومِ ، وقد سُمّيتْ هذه الغزوةُ بغزوةِ مؤتةَ ، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمانٍ للهجرةِ ، وذلك لإظهارِ قوةِ المسلمين ، وجسِ نبضِ الرومِ والاطلاعِ على قوتِهم وعددهم ، وكشفِ أنواعِ أسلحتهم ، ودراسةِ أساليبهم في فن القتالِ تمهيداً لمعركةٍ فاصلةٍ ، وتحقيقاً لرغبتهِ في تحرير الجزيرة العربية كلها من الفرسِ و الرومِ .

وفي شهرِ رجب من السنةِ التاسعة للهجرة ترامتِ الأنباءُ إلى سولِ الله ﷺ أن الرومَ قد جمعوا له على أطرافِ الشلمِ إلى الشمالِ من أرضِ الحجازِ في موضعٍ يقال له تبوك .

فندب الرسولُ ﷺ أصحابهُ لمواجهةِ الرومِ الذين قدموا بجيشٍ عظيمٍ لغزو المسلمين ، والقضاءِ على دولتهم الفتيةِ ، ووأدِ دعوهم الإنسانية ، فقام أصحابهُ يتسابقون إلى الجهادِ في سبيلِ دينهم وعقيدتهم ، والدفاع عن أنفسهم وبلادِهم .

وانطلق الرسولُ ﷺ يقودُ أصحابهُ الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفَ مقاتلٍ .

فلما بلغ الرسولُ ﷺ أرضَ تبوكَ لم يلقَ فيها الرومَ ، ولم يلقَ فيها حرباً ولا كيداً ، فأقام فيها بضع عشرةَ ليلةً ينتظرُ الرومَ ، ويثبتُ لهم قدرتهُ على مواجهتهم ، وردّ عدوانهم ، لكنهم لما سمعوا بمجيئه شخصياً ، وأنه قدِمَ بنفسهِ للقائهم انسحبوا إلى داخلِ أرضِ الشام لا حتمالين اثنين :

الاحتمال الأول : انهم انسحبوا لاستدراجهِ إلى داخلِ أرضِ الشامِ ثم تطويقهِ والقضاءِ عليه .

لكن الرسولَ ﷺ بحكمتهِ وفطانتهِ وحنكتِهِ في الحربِ والقتالِ لم يتوغلْ داخل ارضِ الشامِ خشيةَ الوقوعِ في فخٍ نصبَ له ، أو مكيدةَ دُبرت للإيقاع به فرجع بجيشهِ إلى المدينةِ

مثبتاً للرومِ أنه قادرٌ على مواجهتهم وردّهم مهما يكن عددُهم كبيراً ، وجيشهم عظيماً .

الاحتمالُ الثاني : أنهم انسحبوا لخوفٍ وقع في قلوبهم منه حين علموا أنه قدم بنفسهِ لقتالهم ، وفي ذلك يقولُ رسولُ الله ﷺ : نُصرتُ بالرعبِ مسيرةً شهرٍ ، وذلك في حديثٍ طويلٍ قال فيه : ﴿أعطيتُ خمساً لم يُعطهنّ أحدٌ من الأنبياءِ قبلي: نُصِرتُ بالرعبِ مسيرة شهرٍ ، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركتْهُ الصلاةُ فلْيصلّ، وأُحِلّتْ ليَ الغنائمُ ، ولم تحلَ لأحدٍ قبلي وأُعطيتُ الشفاعةَ ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومِهِ خاصةً ، وبعثتُ إلى الناسِ عامةً﴾[1].

وقد رويَ أن النبي ﷺ كان إذا خرج لقتالِ قومٍ وعلموا بمقدمِهِ هربوا قبل أن يصلَ إليهم ، ولعلّ انسحابَ الرومِ من تبوكَ كان من هذا القبيلِ ... والله أعلم .

---

[1] رواه البخاري ومسلم .

وفي السنةِ الحاديةَ عشرة للهجرةِ شكّلَ رســـولُ الله ﷺ جيشاً قوامُهُ خمسةُ آلاف [1] مقاتلٍ ، وأمَّرَ عليه شاباً من خيرةِ شبابِ المسلمين هو أسامةُ بنُ زيدٍ ﷺ الذي كان يُلقّبُ بالحبِ ابنِ الحبِ ، وأمره أن يذهب بجيشهِ إلى تخوم الشام للقيام بمـــا يُسمى بـــ (استعراضِ العضلاتِ) أمام الـــرومِ ، وكشـــفِ مواقعهم وتحركاتهم وإعلامِهم أن المسلمين ليسوا نـــائمين أو مشغولين عن حمايةِ حدودهم ، بل إنهم متيقظون مســـتعدون لدرءِ أي خطرٍ ، والتصدي لأي هجـــومٍ ، لكـــن لم يلبـــثِ الرسولُ ﷺ أن مرض مَرَضَ الوفاةِ قبل أن يغادرَ جيشُ أســامةَ ابنِ زيدٍ المدينةَ ، لأمرٍ يريدُهُ الله تعالى ، ويعلمُهُ وحدَه ولا يعلمُ الناسُ عنه شيئاً .

أبو بكرٍ الصديقُ وتسييرُ جيشِ أسامةَ :

توُفي رسول الله ﷺ ولحق بالرفيقِ الأعلى قبل مسيرِ جيشِ أسامةَ بنِ زيدٍ ، فكانت وفاتُهُ أكـــبر مصيبـــةٍ أُصيـــبَ بهـــا

[1] ولعل الصواب سبعمائة مقاتل كما في البداية والنهاية لابن كثير .

المسلمون، فعظم عليهم الخطبُ ، وألَّمَّ بهمُ الحــزنُ ، واشــتدَّ عليهم الحالُ ، ونجم النفاقُ بين أحياءِ العربِ ، وارتدَّ بعضــهم عنِ الإسلامِ ، وامتنع آخرون من أداءِ الزكاةِ ، وعظُمَ الأمــر كما ذكرتُهُ مفصلاً في رسالتي السابقةِ (معركة اليمامة) .

ولما انتهى أمرُ الخلافةِ إلى أبي بكرِ الصديقِ ﷺ كــان أولُ قرارٍ اتخذه هو إنفاذ جيشِ أسامةَ تحقيقاً لرغبةِ رســولِ الله ﷺ، وتنفيذاً لخطتهِ إظهاراً لقوةِ المسلمين في تخومِ الشامِ ، ورفعــاً لمعنوياتِ العربِ الذين يرزحون تحت نيرِ الاحتلال الرومــاني فيها، فحاول بعضُ الصحابةِ أن يثنوه عن هــذا الأمــرِ لأن المسلمين في حاجةٍ ماسةٍ لذلك الجيشِ للقيامِ بمهمةٍ هي أهمُّ مما سيذهبُ إليها، وكــان علــى رأسِ المعــارضين عمــرُ بــنُ الخطاب ﷺ، ولكن الصديقَ ﷺ رفض معارضتهم ، وأبى إلا أن أن ينفذَ الجيشَ لتنفيذِ خطةِ رسولِ الله ﷺ فقال بعضُ الأنصارِ لعمرَ : قلْ له فليؤمرْ علينا غيرَ أسامةَ .

فذكر له عمرُ ذلك ، فأخذ الصديقُ بلحيته وقال لــــه : ثكلتْك أمُّك يا ابن الخطابِ ، أؤمّرُ عــليهم غيرَ أميرِ رســولِ الله ﷺ ...؟؟..!!

ثم خرج بنفسهِ فاستعرضَ الجيشَ وأمرهم بالمسير وســـار معهم ماشياً ، وأسامةُ راكباً ، فقال له أسامةُ : يا خليفةَ رسولِ الله ، إما أن تركبَ وإما أن أنزلَ . فقـــال الصديــقُ : واللهِ ليستَ بنازلٍ ، ولستُ براكبٍ .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : واللهِ الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكرٍ استُخلفَ ماعبِدَ اللهُ ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثةَ.

فقيل له : مَهْ ياأبا هريرةَ .

فقال : إن رسولَ الله ﷺ وجَّهَ أسامةَ بنَ زيدٍ في ســبعمائةٍ إلى الشام، فلما نزل بذي خشبٍ قُبِــضَ رســولُ الله ﷺ ، وارتدتِ العــربُ حــولَ المدينــةِ ، فاجتــمع إليــه أصحــابُ رسولِ ﷺ فقالوا : يا أبا بكــرٍ ، رُدَّ هــؤلاءِ ، توجّهْ هؤلاءِ إلى الرومِ وقد ارتدتِ العربُ حولَ المدينةِ ...؟

فقال : والذي لا إله غيرُهُ لو جَرَّتِ الكـــلابُ بـــأرجلِ أزواجِ رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشاً وجَّههُ رسـولُ الله ، ولا حللت لواءً عَقَدَهُ رسولُ الله ﷺ.

فوجَّهَ أسامةَ ، فجعل لا يمرُّ بقبيلٍ يريدون الارتـــدادَ إلا قالوا: لولا أنّ لهؤلاء قوةً ما خرج مثل هؤلاءِ مـــن عندهـــم ولكن ندعُهم حتى يلقوا الرومَ ، فلقـــوا الـــرومَ فـــهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام [1] .

وفي روايةٍ : قالتِ العربُ : ماخرج هؤلاء من قـــومٍ إلا وبهم منعةٌ شديدةٌ ، فقاموا أربعين يوماً ، وقيل : سبعين يومـــً، ثم رجعوا سالمين غانمين .

وكانوا خلال تلك الفترة يغيرون على الرومِ ومنْ والاهم من عربِ الشامِ ، فيقومـــون عليـــهم بهجمـــاتٍ خاطفـــةٍ ، ويوجهون إليهم ضرباتٍ موجعةً أذهلتهم وألقتِ الرعـــبَ في قلوبِهِم ، وجعلتهم حيارى من أمرهم لمـــا كـــان المســـلمون يمتازون بقوةِ الهجومِ ، وسرعةِ الانتقال ، وإلحـــاقِ الخســـائرِ

---

[1] رواه البيهقي ، وانظر البداية والنهاية .

الجسيمةِ بالروم في الوقت الذي لم يصب فيه المسلمون بخسائر تذكر، الأمر الذي جعل الروم يضطرون أن يطلبوا إمـــدادات لنصرتهم ، ولحمايةِ الحدودِ المتصلةِ بحدودِ أرضِ المســـلمين الذين أزعجوهم وأقلقوهم بالنهارِ وأقضوا مضجعهم بالليلِ .

ولم يكدِ المددُ الرومانيُّ يصلُ حدودِ الرومِ وحامياهم حـتى فرغ المسلمون من أداءِ مهمتهم المقدسةِ ، وإظـــهار بأســـهم وتيقظهم، والاطلاع على قوة عدوهـــم ، وإيقـــاعِ الخـــوف والرعبِ في قلوبهم ، ثم رجعوا إلى المدينةِ مُكلّلـــين بنصـــرٍ عظيمٍ، ومعنوياتٍ عاليةٍ وإرادةٍ قويةٍ وثابتةٍ .

النتيجةُ :

بظهرُ لنا بجلاءٍ ووضوحٍ حنكةُ النبي ﷺ، وبُعدُ نظـــره ، وأسلوبُهُ الفذُّ ، وسياستُهُ الحكيمةُ في التخطيـــطِ للحـــروب وتسيير الجيوش لتحقيقِ حلمهِ القديم بتحرير الجزيرة العربيـــةِ كلّها ، ورفع لواءِ الإسلامِ فوق ربوعها ، ولمّ شملِ العرب تحت رايته بعد تحريرهم من الاحتـــلال الرومـــاني والفارســـي ،

واعتناقهم عقيدةَ التوحيد ، وإيمانهم بالله وملائكتِهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ، ومن ثمَّ تحقيقُ عالميةِ رسالتهِ ونشرها إلى الناسِ جميعاً تصديقاً لقولِ الحقِ تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ [١].

﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناسِ بشيراً ونذيراً ﴾ [٢]

كما يبدو لنا صدقُ أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ ، وإخلاصهُ لدينهِ، وتفانيه في تتبع خطى النبي ﷺ، وتحقيقِ حلمِهِ ، وتنفيذِ خطتهِ ، يبدو ذلك واضحاً من خلال إصرارهِ في إنفاذ جيشِ أسامةَ الذي كان له أثرٌ إيجابي كبيرٌ في إظهار قوة المسلمين ، وتخويفِ المرتدين الذين قالوا حين رأوا جيشَ أسامةَ يغادرُ المدينةِ رغم الأخطارِ المحدقةِ بها : ماخرج هؤلاءِ من قومٍ إلا وهم مَنَعةٌ شديدةٌ.

---

[١] الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

[٢] الآية ٢٨ من سورة سبأ .

ومن ثمّ كان لذلك الجيشِ أثره في حمايةِ المدينةِ من المرتدين والأعراب الطامعين بها لاعتقادهم ضعفَ المسلمين نتيجةَ الظروفِ الحرجةِ والقاسيةِ التي كانت تمرُّ بهم .

وكذلك كان له أثرُهُ الكبيرُ في إيقاعِ الرعب في قلوب الرومِ نتيجةَ الإغاراتِ السريعةِ ، والهجمات الخاطفةِ التي كانوا يفاجؤون بها من جيشِ أسامةَ بن زيدٍ ﷺ .

والفضل في ذلك يعودُ قبل كلِ شيءٍ إلى نصرِ اللهِ عز وجل، وتأييده وحمايةِ دينهِ ، ثم إلى رسولِ الله ﷺ الذي وضع الخطةَ ، وشكّلَ الجيشَ ، وبشّرَ أصحابَهُ بقصورِ الشامِ واليمن والمدائنِ ، وأنها ستُفتحُ عليهم وسيد خلونها .

وكذلك إصرارُ أبي بكرٍ ﷺ في إرسال جيشِ أسامةَ يتمثل ذلك بقولِهِ : والذي لا إلهَ غيرُهُ لو جَرَّتِ الكلابُ بأرجلِ أزواجِ رسولِ اللهِ ﷺ ماردَدْتُ جيشاً وجَّهَهُ رسول الله ، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله ﷺ فرضي اللهُ عن أبي بكرٍ وأرضاه ، وشكرَ سعيهُ ، وقبل عملهُ ، وغفر له وأدخله فسيح

جناتِهِ مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

أبو بكر يرسلُ أمراءَ الجيوشِ :

لم يكتف ابو بكرٍ الصديقُ ﷺ بإرسال جيشِ أسامةَ الذي أَوْهنَ من عزيمةِ المرتدين ، وأوقع الرعبَ في قلوبِ الروم نتيجة إغاراتِهِ المتلاحقة في أطراف الشامِ ، وعودتِهِ إلى المدينةِ بنصرٍ مؤزّرٍ ، بعد جسٍّ نبضِ الروم ، وأخذ معلومات كافيةٍ عن قوتهم وتحركاتهم وأساليبهم في فنِ القتالِ ، بل قرَّر الصديقُ ﷺ أن يقومَ بهجماتٍ موسَّعةٍ في أطراف الجزيرةِ العربيةِ كلّها تحقيقاً لحلمِ النبي ﷺ بتحرير الأرضِ العربيةِ ، وتوحيدِ أبنائها ، وجمعِ شتاتِهم ، وتخليصهم من ربقةِ العبودية والاستعمار ، فأخذ يقلّدُ الأمراءَ ، ويُجيّشُ الجيوشَ ، ويوجههم في أنحاءِ الأرض العربية على النحو التالي :

١ ـ يزيدُ بن أبي سفيان قائداً لفرقةٍ مهمتها التوغل في أرضِ الشام لتنتهي بفتحِ دمشقَ ، وجعل معه سُهيلَ بنِ عمروٍ،

وعدداً من زعماءِ أهلِ مكة، وعقد له اللواءَ وخرج معه ماشياً يوصيه ومَنْ معه بتقوى الله تعالى ، وقال له : أُقرئك السلامَ وأستودعك الله .

ثم عقد لواءً آخر لشرحبيلَ بنِ حسنةَ يكون ردءاً ليزيدَ ، وأمره أن يلحقَ به ، وجعل مهمته التوغل في أرض الشام لتنتهي بفتح بصرى الشام ثم عقد لواء آخر لأبي عبيدة بن الجراح يكون مدداً لهما في أرض الشام وتنتهي مهمته بعد ذلك بفتح حمص .

وكان الصديقُ ﷺ قدِ استعمل عمروَ بنَ العاصِ على صدقات قضاعةَ ومعه الوليدُ بنُ عقبةَ ، فلما رأى أنه بحاجةٍ إليه كتب إليه يستنفرُهُ إلى الشامِ ، لأمرٍ أهمَّ وأعظمَ لجدارتِهِ بالحربِ ، وكفاءتِه للقيادة فقال له : إني كنتُ قد رددتُك على العملِ الذي ولاكَهُ رسولُ الله ﷺ مرةً ، وسمّاه لك أخرى، وقد أحببتُ أبا عبدِ الله أن أفرغَكَ لما هو خيرٌ لك في حياتكَ ومعادِك منه ، إلا أن يكون الذي أنتَ فيه أحبَّ إليكَ.

فأجابه عمروٌ لذلك دون تردد أو تقاعسٍ ، وأعلن له أنه جنديٌ من جنودِ الإسلامِ ، وسيفٌ من سيوفِهِ فليستعملهُ كما يشاء ولما يشاءُ ، ولا يملكُ إلا السمعَ والطاعةَ ، وذلك في كتابٍ ردّ فيه عمروٌ يقولُ :

إني سهمٌ من سهامِ الإسلامِ ، وأنتَ عبدُ اللهِ الرامي بها ، والجامعُ لها ، فانظرْ أشدَّها وأخشاها فارمِ بي فيها .

واستدعى معه الوليدَ بن عقبةَ يكون عوناً له في مهمةٍ مشتركةٍ ومقدسةٍ مهمتها التوغلُ في أرضِ الشامِ لفتحِ العقبةِ والانتهاءِ بفتحِ فلسطينَ ثم مصرَ .

واستدعى الصديقُ ﷺ خالدَ بنَ سعيد بنِ العاصِ من اليمنِ، وأمّره على جيشٍ مهمته اختراقُ تحشداتِ الرومِ في الشام الذين كان يواليهم قبائلُ عربية كثيرةٌ من نصارى العرب كتنوخ ، وبني كلبٍ ، وسُليمٍ ، ولخمٍ ، وجذامٍ ، وغسانَ وغيرهم .

كما عَيَّنَ الصديقُ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ قائداً لفرقةٍ تكــونُ ردءاً للفرق المتقدمةِ وعوناً ومدداً لها في حالِ احتاجت فرقــةٌ منها إلى مددٍ وعونٍ .

كما عيَّنَ الصدِّيقُ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ قائداً لجيشٍ يكونُ وراء جيشِ أخيه يزيدَ بنِ أبي سفيانَ .

وهكذا تكّونَ عند أبي بكرٍ الصديقِ جيشٌ كبيرٌ وقــويٌّ اختار له قادةً من خيرةِ الرجالِ ، وأشجعِ الفرسانِ وأكفئــهم خبرةً ، وأشدّهم شكيمةً لا يهابون الموتَ ولا يخافون العــدوَّ ، ولا يخشون الحربَ ، ولا يعبؤون بالطعانِ .

يسخرون من الأهوالِ ، ويستهينون بالصعابِ ، رهبــانٌ بالليل ، ليوثٌ بالنهارِ ، يحبون الموت كما يحبُّ عدوهمُ الحياةَ، وهمُ الذين عاهدوا اللهَ ورسولهُ من قبلُ على الموتِ في ســبيل الله.

وهُمُ الذين استجابوا اللهِ والرسولِ من بعدِ مــا أصــابهمُ القرحُ، وهمُ الذين صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه ، وهُمُ الذيــن أحبوا نبيهم ﷺ بكلِ قلوبهم، وحين أحبوه بكلِ قلوبهم أطاعوه

بكلِ قواهم ، وآثروه على النفسِ والمالِ ، والأهلِ والولـــــدِ، والناسِ أجمعين .

أطاعوه في المنشطِ والمكَرهِ، وخرجوا يجاهدون في ســـــبيل الله خفافاً وثقالاً ، لا يترددون ، ولا يتراجعون ، ولا يشـــاقون الرسولَ من بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون في أنفســـــهم حرجاً مما قضى ، ولا يكونُ لهمُ الخيرةُ من بعدِ ما أمربه أونهى، وأصبحوا في الدنيا رجالَ الآخرةِ ، وفي اليومِ رجال الغـــدِ ، لا تجزعهم مصيبةٌ ، ولا تبطرهم نعمةٌ ، ولا يشغلهم فقـــرٌ ، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهمِ تجارةٌ ولا تستخفهم قوةٌ ، وأصبحـوا السادة والقادة ، والقدوة الصالحة ، والأسوةَ الحسنة وعصمةً للبشرية ، ووقايةً للعالم ، ودعاةً إلى دينِ اللهِ، ولا يريدون عُلُوّاً في الأرضِ ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين .

رجالٌ هذه صفاهم ، وهذه أخلاقهم ، وهذه تربيتــــهم ، وهذا منشؤهم ، وهذه معاملاهم وهـــذا ثنـــاءُ اللهِ ورســـولهِ

عليهم: ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عـــاهدوا الله عليــه فمنهم من قضى نحبهُ ومنهم مَنْ ينتظرُ وما بدّلوا تبديلاً ﴾ [1].

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصارِ والذيـــن اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعَدَّلهم جنــات تجري تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيمُ ﴾ [2].

وهمُ الذين مدحَهُمُ ﷺ وأثنى عليهم بقوله فيما روي عــن أبي سعيدٍ الخدري : ﴿ والذي نفسي بيده لو أنفقَ أحدُكم مثل أُحدٍ ذهباً ماأدرك مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفهُ ﴾ [3] .

وعن جابرٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : ﴿ إن الله اختـــار أصحابي على الثقلين ، سوى النبين والمرسلين ﴾ [4]

---

[1] الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

[2] الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

[3] رواه الشيخان .

[4] مسند البزاز ، وانظر الإصابة .

وعن وكيع قال : سمعت سفيان يقول في قوله تعالى ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قال : هم أصحاب محمدٍ ﷺ[1] .

رجالٌ أهلٌ لمدحِ اللهِ تعالى لهم ، وثنائِهِ عليهم لا يقولون لخليفةِ رسولِ الله ﷺ : لا ، ولو كان في ذلك حتفهم ، وهذا أحبُّ شيء يريدونه ويتسابقون إليه .

خطبةُ أبي بكرٍ بالجيوشِ :

لما فرغ الصديقُ ﷺ من تشكيلِ الجيوشِ وتأميرِ الأمراءِ ، وتقليدهم الالوية جمَعَهم ، ووقف أمامهم خطيباً يعظهم ، ويأمرُهم بتقوى اللهِ والتزامِ آدابِ الجهادِ كما أمر اللهُ ورسولهُ، وإخلاصِ النيةِ للهِ تعالى ، والتعاون فيما بينهم على البرِ والتقوى، فقال بعد أن حمد اللهَ وأثنى عليه :

ألا لكلِ أمرٍ جوامعُ ، فمن بلغها فهي حسبُه ، ومَنْ عمِلَ للهِ كفاهُ اللهُ .عليكم بالجدِ والقصدِ ، فإن القصدَ أبلغُ ، ألا إنه

---

[1] الإصابة .

لا دين لاحدٍ لا إيمانَ له ، ولا إيمانَ لمن لا خشيةَ له ، ولا عمل لمن لانيةَ له .

ألا وإنّ في كتابِ الله من الثوابِ على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحبَّ أن يُخصَّ به ، هي النجاةُ التي دلَّ اللهُ عليها ، إذ نجى بها من الخزي ، ثم أخذ يوصيهم بتقوى الله، والتزامِ آداب الجهادِ ، والعملِ بسماحةِ الإسلامِ ، والتمسكِ بالقيمِ الإنسانيةِ ، و المبادئ الإسلامية ، والرحمةِ الواسعةِ التي جاء بها نبيُّ الإسلامِ محمدٌ ﷺ .

فقال الصديقُ ﷺ : انطلقوا بسمِ اللهِ ، وعلى بركةِ اللهِ ، لا تقتلوا شيخاً ولا امرأةً ، ولا طفلاً ، ولا عسيفاً[1] ، ولا تقطعوا شجرةً ، ولا تذبحوا شاةً إلا لمأكلةٍ [2] ...

كلماتٌ عظيمةٌ ورائعةٌ تدلُّ على عظمةِ قائلها ، والدينِ الذي صقلهُ ورباه ، والنبي الذي أدّبَهُ وعَلّمَهُ ، والقرآن الذي هداه وهذّبَهُ .

---

[1] العسيف : الأجير .

[2] لمأكلةٍ : أي للأكل .

ثم أمر الصديقُ ﷺ أمراءه وقوّادَ جيشهِ أن يسلك كـــل أميرٍ طريقاً غيرَ طريقِ الآخرِ لأنه رأى ببعدِ نظــــرهِ ، ونــورِ بصيرته ، ورجاحةِ عقلِهِ أن ذلك من مصلحةِ المسلمين عامـة ، ومصلحةِ الأمراءِ خاصةً ، وكأنه ﷺ اقتدى في ذلك بنـــبي الله يعقوبَ عليه السلامُ حين ارسل أبناءه إلى مصرَ وقال لهـــم : ﴿يابَنِيَّ لا تدخلوا من باب واحدٍ وادخلوا من أبواب متفرقـــةٍ وما أُغني عنكم من اللهِ من شيءٍ إنِ الحكمُ إلا للهِ عليه توكلتُ وعليه فليتوكلِ المتوكلون ﴾[1] .

وانطلقت الجيوشُ الإسلاميةُ على راياها وهي تغادرُ المدينةَ وسطِ جموعِ المودعين الذين اضطرمَتْ صفوفُـــهم وأفئدتُـــهم حماسةً ومحبةً يلقون عليهم نظراتِ الوداعِ ، ويزودوهم بالنصحِ والدعاءِ، ويوصوهم بتقوى اللهِ ، وإخلاصِ النية في الجـــهادِ في سبيل اللهِ .

هذا ... والمقاتلون يجدّون الســـرَ ، ويغـــذون الخطـــى ، ويضربون في الأرض يرافقهم هليلُ وتكبيرُ المودعين الذي أخذ

---

[1] الآية ٦٧ من سورة يوسف .

يضعفُ ويتضاءلُ شيئاً ... فشيئاً كلما ثَقلت الرواحل خطاهـــا ميممة وجهها شطرَ الشامِ ، آملةً بنصرِ الله وحفظِهِ وتـــأييدِه ورعايتِهِ .

وما إن بلغت الجيوشُ الإسلاميةُ ربوعَ الشام حتى توغلتْ بداخلها ، وأخذ كلٌّ اميرٍ موقعهُ المخصَّصَ له ، فنـــزل عمرو ابنُ العاصِ العرمات من أرضِ الشامِ ، ونزل يزيدُ بنُ أبي سفيان البلقاءَ ، ونزل شُرَحبيل بنُ حسنةَ بالأردن أو ببصرى ، ونزل أبو عبيدة بالجابيةِ ، وهي قريةٌ من أعمالِ دمشقَ قريبةٌ من مرجِ الصفرِ ويروى أنا أبا عبيدة لما مرَّ بأرضِ البلقاءِ [1] قاتل أهلها حتى صالحوه فكان هذا أولَ صلح وقع بالشامِ .

ويقالُ : إن أولَ قتالٍ وقع بالشام أن الرومَ اجتمعوا بمكانٍ يقال له العربةُ من أرضِ فلسطين ، فذهب إليهم أبو أمامـــةَ في سريةٍ فقاتلهم وانتصر عليهم وغنم منهم كثيراً ، وقتل منـــهم بطريقاً عظيماً [2] .

---

[1] البلقاء : من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى .

[2] البطريق بكسر الباء : القائد ، والجمع : البطارقة .

ثم كانت وقعةُ مرجِ الصُّفرِ[1] التي استشهدَ فيها عددٌ من المسلمين وفيهم خالد بنُ سعيد بنِ العاصِ ، وقيل : ابنٌ لخالدِ ابنِ سعيدٍ ، أما هو فقد انحاز إلى أرضِ الحجازِ ونجا ومن معه .

قال الطبريُّ : ولّما انتهى خالدُ بنُ سعيدٍ إلى تيماءَ[2] اجتمع إليه جنودٌ من الرومِ في جمعٍ كثيرٍ من نصارى العربٍ ، من تنوخٍ، وبني كلبٍ ، وسُليحٍ ، ولخمٍ ، وجُذامٍ وغسانَ ، فتقدم إليهم خالد بنُ سعيدٍ ، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ، ودخل كثيرٌ منهم في الإسلام ، وبعث إلى الصديقِ يعلمُهُ بما وقع من الفتحِ ، فامرَهُ الصديقُ أن يتقدمَ ولا يحجمَ ، وأمدّه بالوليد بن عقبةَ وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ وجماعةٍ ، فسار خالدُ بنُ سعيدٍ إلى قريبٍ من إيلياءَ[3] ، فالتقى هو وأميرٌ من الرومِ يقال له : ماهان فكسَرَهُ، ولجأ ماهان إلى دمشقَ ، فلحقهُ خالدُ بنُ سعيدٍ . ثم التقى به في مرجِ الصفر ، وكان ماهان قد جمع له

---

[1] مرج الصفر ، أو الصفراء : موضع بين دمشق والجولان .

[2] تيماء : بلدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق الحجاج

[3] إيلياء : بيت المقدس .

عدداً كبيراً من الروم فهجموا عليهم ، وأخذوا عليهم الطريقَ، ففر خالدُ بنُ سعيدٍ ولجأ إلى ذي المروةِ ، واستحوذ عليهم الرومُ إلا من فرَّ منهم على الخيلِ .

أما عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ فقد ثبت مع مَنْ معه ثم تراجع عنِ الشامِ ليبقى ردءاً لمن نفر إليه .

استدعاءُ خالدٍ من العراقِ إلى الشامِ :

رأينا من خلالِ النظرةِ السريعةِ التي ألقيناها على أعمالِ الجيوشِ الإسلامية في أرضِ الشامِ ، واشتباكِها مع الجيوشِ الرومانية ، أنها لم تحققِ انتصاراً كاسحاً وسريعاً ، ولم تفلحْ في فتحِ الشامِ كما أفلح خالد بنُ الوليد ﷺ في العراقِ .

خاصةً وقد حشد الرومُ جيشاً كبيراً وجرّاراً قِوامُهُ مئتا ألفٍ ويزيدون أربعين ألفاً ، وجعلوا في مقابلةِ كلِ أميرٍ من المسلمين جيشاً كثيفاً ، فبعثوا إلى عمروِ بنِ العاصِ (تذارق) أو البندارق، أو تيودوريك وكان أخاً لهرقل ملك الروم ، ومعه تسعون ألفاً من المقاتلين الرومِ .

وبعثوا جرجه بن يوذيها إلى ناحية يزيدَ بنِ أبي سفيانَ ، فعسكر بإزائهِ في خمسين ألفاً ، أو ستين ألفاً .

وبعثوا القيقلان في ستين الفاً إلى أبي عبيدةَ .

وبعثوا الدراقصَ في ثلاثين ألفاً إلى شرحبيلَ بنِ حسنةَ ، وهكذا وزّعَ الرومُ جنودهم بإزاءِ جيوشِ المسلمين ، وقالوا : واللهِ لنشغلنَّ أبا بكرٍ عن أن يوردَ الخيولَ إلى أرضنا .

هذا ... وكان عددُ جيوشِ المسلمين لا يزيدُ على أحدٍ وعشرين ألفاً سوى الذين كانوا مع عكرمةَ بنِ أبي جهلٍ ، وكان واقفاً في طرف الشامِ ردءاً لإخوانهِ من القادةِ والأمراءِ كما تقدم، ومعه ستةُ آلاف .

فلما بلغ الامراءَ والقادةَ المسلمين خبر الرومِ ، وتوزيعُ جيوشهم بإزاء جيوشِ المسلمين ، كتبوا إلى أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ يعلمونه بخبر الرومِ ، ويضعون أمامَهُ صورةً حقيقيةً للمشهدِ .

فكتب إليهم يقولُ : اجتمعوا ، وكونوا جنداً واحداً ، والقوا جنودَ المشركين ، فأنتم أنصارُ اللهِ ، واللهُ ينصرُ مَنْ

نصرَه، وخاذلُ مَنْ كفره ، ولن يُؤتى مثلكم عن قلةٍ ، ولكن من تلقاءِ الذنوبِ ، فاحترسوا منها ، ولْيصل كلُّ رجلٍ منكم بأصحابِهِ .

ثم قررَ ﷺ أن يستدعى سيفَ اللهِ خالدَ بنَ الوليدِ ﷺ من العراقِ ليجعلَ له إمرةَ الجيشِ في الشامِ وقال : واللهِ لأشغلَنّهم عن وساوسِ الشيطانِ بخالدِ بنِ الوليد .

إنه تعبيرٌ صادقٌ عن ثقتِهِ المطلقةِ بخالدٍ ، وحبهِ الكبيرِ ، وأمانتهِ العظيمةِ لأميره الشهمِ ، وفارسِهِ العظيم سيف الله خالدِ ابنِ الوليدِ ﷺ .

لقد رأى الصديقُ أن الأمراءَ الذين انتدبهم لفتحِ الشامِ لم يفلحوا كما أفلح خالدٌ في العراق ، إنه يريدُ فتحاً سريعاً ، ونصراً حاسماً يبهرُ الابصارَ ، ويأخذُ بالألبابِ كفتحِ خالدٍ السريعِ والحاسمِ والمبهرِ والمحيرِ .

يريدُ أن يحقق حلمَ النبي ﷺ القديمَ بفتحِ الجزيرةِ العربيةِ كلّها ليضمنَ لرعيته الأمنِ والأمان ، والسلام والاطمئنان ، ويطهّر حدود دولتِهِ من أطماعِ الفرسِ والرومِ ، وقد أفلح

خالدٌ ونجح بتطهيرها من الفرس في العراق ، وقد استدعاه الآن ليقومَ بنفسِ المهمةِ ، وليحقق النصر ذاتَهُ في الشامِ ، ولذلك حين كتب إليه أمراءُ الجيوشِ ، ووصفوا له الحالة العسكرية والتحشدات الضخمة من الرومِ ، وطلبوا منه المددَ قال ﷺ : خالدٌ لها فكتب إليه على الفورِ أن يستخلفَ على العراقِ المثنى بن حارثةَ ، وأن يتوجهَ بَمنْ معه إلى الشامِ ، فإذا وصل إلى الأمراءِ فيها فهو الأميرُ عليهم .

فاستناب المثنى بنَ حارثةَ على العراقِ ، وانطلق مسرعاً في تسعةِ آلافٍ وخمسمئةٍ ودليلُهُ على الطريقِ رافعُ بنُ عميرةَ الطائيُّ.

خالد يتوجهُ نحو الشام :

ومضى خالدٌ ﷺ مودّعاً أرضَ العراقِ ، ميمماً وجهَهُ شطرَ الشامِ، ، منفذاً أمر الخليفةِ الصديقِ من غيرِ تراجعٍ ، ولا تذمرٍ، ولا ترددٍ فالسمعُ والطاعة والولاءُ المطلقُ من خلقِ المسلمِ التي تعلّمَها وطبعَ عليها تنفيذاً لأمرِ اللهِ تعالى : ﴿ ياأيها

الـــذين آمنـــوا أطيعـــوا الله وأطيعوا الرســـولَ وأولي الأمـــرِ منكـــم ﴾ [١] .

ولأمرِ الرسولِ ﷺ : ﴿ أوصيكم بتقوى الله ، والســـمعِ والطاعةِ وإن عبداً حبشياً ، فإنه مَنْ يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ﴾ [٢] الحديث ... فهو يعلمُ أن طاعـــةَ الأمـــيرِ واجبةٌ وإن كان عبداً حبشياً ، لأنها أمرٌ من اللهِ تعالى بشرطِ أن تكونَ في طاعةِ اللهِ ، وإلا فإنه لا طاعةَ لمخلـــوقٍ في معصيـــةِ الخالق . وانطلق خالد ﷺ بجنوده يضرب في الأرض ، يقطـــع البيداء المترامية ، وقد سلك أرضا لم يسلكها قبلـــه أحـــد ، فاجتاز البراري والقفار ، وقطع الأودية ، وصعـــد الجبـــال ، وتسلق التلول والهضاب ، وتعرض للجوع والعطش ، وهـــو وجنوده صابرون يغالبون التعب ويتفوقـــون علـــى الجـــوع والبطش وينتصرون على الخوف والجزع وهم الذين لم يجـــد

---

[١] الآية ٥٩ من سورة النساء .

[٢] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي والترمذي وقال : حسن صحيح

والجزع إلى قلوبهم سبيلاً ، فلما فقدوا الماء واشتدهم وبرواحلهم العطشُ أمر خالدٌ بنحرِ الإبل فنُحرتْ، فاستخرجوا ما في بطونها من ماءٍ فشربوه، ويمكنُ أن يُقالَ : إنهم سقوا الخيلَ مافي بطونِ الإبلِ من ماءٍ ، وشربوا ما كانت تحملُهُ من الماءِ وأكلوا لحومها ، ومضوا يغذون السيرَ ، ويمدون الخطى حتى انتهوا إلى الرومِ من جهة تدمر فصالحه أهلها وتابع سيرَه حتى أصبح قريباً من شرقي دمشقَ ، وقدِ استغرقتْ معه هذه الرحلةُ المقدسةُ خمسةَ أيامٍ ، وعلى الرغمِ من التعبِ والإعياءِ ، والجوعِ والعطشِ الذي أصابه ولحق بجنودهِ كلذن لا يمرُّ بسريةٍ للرومِ إلا قاتلها ، ولا بقبيلةٍ عربيةٍ مواليةٍ للرومِ إلا هاجمها وانتصر عليها وأخذ منها الغنائم حتى اجتمعتْ أمامهُ أموالٌ كثيرةٌ من غسانَ غيرها ، فبعث بها إلى الصديق مع بلالِ بن الحارث والمزني ، وكان قد مرَّ في طريقهِ ببعضِ العربِ فقالوا له : إن أنتَ أصبحتَ عند الشجرةِ الفلانية نجوتَ أنتَ ومَنْ معك ، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معكَ، وتابعَ

سيرَه ، ولم يقف حتى بلغها عند الصباح ، وفي ذلك يقولُ أحد جنودِ المسلمين وكان مع خالدٍ يصفُ هذا المسيرَ :

للـهِ عينـا رافـعٍ أنّـى اهتـدى	فـوّزَ مـن قراقـر إلـى نـوى
خمساً إذا ما سارها الجيشُ بكى	ماسارها قبلـك إنسـيٌّ أرى

يريدُ برافعٍ رافعَ بنَ عميرةَ الطائي دليلَ خالدٍ على الطريقِ، وفوّزَ : هلك ، قراقرُ ونوى : موضعان بأرضِ الشامِ خمساً: يريدُ أن الرحلةَ دامتْ خمسةَ أيامٍ .

وصولُ خالدٍ إلى الشامِ وتوليه القيادة :

وصل خالدٌ ﷺ بجنوده إلى الشامِ في أواخرِ جمادى الأولى سنةَ ثلاثَ عشرةَ للهجرةِ ، فوجد الجيوشَ الإسلاميةَ متفرقةً ، فجمعهم ، ونهاهم عنِ التفرقِ والاختلاف ، وأمرهم بالتعاون والاتحاد امتثالاً لقولِ الحقِ تبارك وتعالى : ﴿ واعتصموا بحبلِ

الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألفَ بينَ قلوبكم فأصبحتم بنعمتهِ إخواناً ﴾ [1] .

﴿ وأعّدوا لهم مااستطعتم منْ قوةٍ ومِنْ رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم ﴾ [2]

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا اللهَ ورسولهِ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا إنّ اللهَ مع الصابرين ﴾[3].

ثم وقف فيهم خطيباً يشجعهم ، ويلهبُ حماسهم ، ويعلن أمامهم أنه فردٌ منهم لا فرق بينه وبينهم ، فقال بعد أن حمِدَ اللهَ وأثنى عليه :

إن هذا يومٌ من أيامِ الله ، لا ينبغي فيه الفخرُ ولا البغيُ ، أخلصوا جهادَكم ، وأريدوا اللهَ بعملِكم ، وإن هذا يومٌ له ما بعده لو رددناهُمُ اليومَ إلى خندقِهم فلا نزالُ نردُّهم وإن

---

[1] الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

[2] الآية ٦٠ من سورة الأنفال .

[3] الآيتان ٤٥ ـــ ٤٦ من سورة الأنفال .

هزمونا لا نفلح بعدها أبداً فتعالوا فلنتعاور الإمارةَ ، فليكن عليها بعضُنا اليومَ ، والآخرُ غداً ، والآخرُ بعدَ غدٍ حتى يتـأمّرَ كلكم ، ودعوني اليومَ أليكم ﴾ [1]

استعدادُ الجيشِ الإسلامي :

ويتولّى خالدٌ ﷺ القيادةَ العظمى للجيشِ الإسلامي ، وجعله كراديسَ كلُّ كردوسٍ ألفُ رجلٍ وعليهم أميرٌ .

فجعل أبا عبيدةَ في القلبِ ، وعلى الميمنةِ عمروَ بنَ العاص ومعه شُرحبيلُ بنُ حسنةَ ، وعلى الميسرةِ يزيدَ بنَ أبي سفيان ، وعلى الطلائعِ قبابَ بنَ أشيم ، وعلى الأقباضِ عبدَ الله بن مسعودٍ ، والقاضي عليهم يومئذٍ أبو الدرداءِ ، والذي يعظهم ويحثُّهم على القتالِ أبو سفيان بنُ حربٍ ، والقارئ الذي يدور على الناس ، ويتلو عليهم سورة الانفال وآياتِ الجهادِ المقدادُ ابنُ الاسودِ .

---

[1] أليكم : أي ألي أمركم : يريد الإمرة .

فقال رجلٌ من نصارى العربِ لخالدِ بنِ الوليد : ما أكثرَ الرومَ وأقلّ المسلمين ...!

فقال له خالدٌ ﷺ : ويلك ، أتخوفني بالرومِ ...؟ إنما تكثرُ الجنودُ بالنصرِ ، وتقلُّ بالخذلانِ لا بعددِ الرجالِ ، والله لوددْتُ أن الأشقرَ برئ [1]من توجعهِ ، وأنهم أُضعفوا في العددِ.

واجتمع أكابر الصحابة للشورى ودراسةِ الموقفِ العسكري ، والظروفِ الراهنةِ ، فقال أبو سفيانَ : ما كنتُ أظنُّ أني أعمّر[1] حتى أدرك قوماً يجتمعون لحربٍ ولا أحضُرُهم، ثم أشار أن ينقسمَ المسلمون ثلاثةَ أجزاءَ :

١ ــ أن يسير الثلثُ فينزلون تجاه الرومِ .

٢ ــ ثم تسيرُ الأثقال والذراري في الثلثِ الآخرِ .

٣ ــ أن يتأخر خالدٌ بالثلثِ الأخيرِ حتى إذ وصلتِ الأثقال والذراري إلى أولئك سار بعدهم ، ونزلوا في مكانٍ

---

(1) يريد بالأشقر فرسَهُ ، وكان قد حفى واشتكى لطولِ مسيرهِ في مجيئهِ من العراقِ .

(1) أعمَّر : أي يطول عمري .

واسعٍ لتصل إليهم الرسلُ الذين يحملون إليهم كتبَ الخليفـةِ الصديقِ، والمددُ إن احتاجوا إليه .

فاستحسنوا جميعاً هذا الرأي ، واتفقوا عليه .

ويقالُ : إنِ الرومَ اجتمعوا في مكانٍ يقال له : الواقوصـةُ على مقربةٍ من اليرموكِ ، وصار وادي اليرموك خندقاً عليهم ، هذا ... والمسلمون متيقظون أشدَّ ما يكون الحرصُ والتيقـظُ ، فتحولوا من مكانهم فنـزلوا قريباً من الرومِ في طريقهم الذي ليس لهم طريقٌ غيرُهُ ، فقال لهم عمروُ بنُ العاصِ ﷺ : أبشروا أيها الناسُ ، فقد حُصرتْ واللهِ الرومُ ، وقلما جاء محصـورٌ بخيرٍ.

فكان اجتماعُ الرومِ عند الوادي فألَ خيرٍ للمسـلمين ، وكأنهم اختاروه ليكونَ مقبرةً لهم ، لذلك بشَّرهم عمرو بـنُ العاصِ بالخيرِ لمالَهُ من خبرةٍ فائقةٍ في فنِ الحـربِ ، ومكـرٍ ودهاءٍ، وألمعية وذكاءٍ في التخطيط للحـروبِ ، ومقابلـةِ الفرسانِ والأمراءِ ...

استعدادُ الجيشِ الروماني

حين علمتِ الرومُ بمجيء خالدٍ من العراقِ بعثوا ما هـــانَ وكان من خيرةِ قوادهم ، فجاء مدداً للجيـــوشِ الرومانيـــةِ ليتكامل جيشهم أربعين ومئتي ألفٍ ، كـــان تقســـيمُهُ علـــى الشكلِ التالي :

١ ـــ ثمانون الفاً مسلسلون بالحديدِ والحبالِ كي لا يفروا من أرضِ المعركةِ .

٢ ـــ ثمانون ألفاً ، فرسانٌ .

٣ ـــ ثمانون الفاً ، مشاةٌ .

وقيل : بل تسلسل كلُّ عشرةٍ سلسلةً لئلا يفروا ، وكانوا ثلاثين ألفاً . في حين بلغ جيشُ المسلمين ستةً وثلاثين الفاً ، إلى أربعين ألفاً بعد أن انضمَّ إليهم عكرمةُ بنُ أبي جـــهلٍ بســـتةِ آلاف كانوا معه .

عيونُ الروم عند المسلمين :

أراد الرومُ أن يأخذوا أخبار المسلمين ، ويطلعـــوا علـــى عاداتهم ومعاملاتهم وسلوكِهم ، فبعثوا إليهم رجلاً من نصارى العربِ ، فلما رجع سألوه عنهم ، فقال لهم :

وجدتُ قوماً رهباناً بالليلِ ، فرساناً بالنهارِ ، واللهِ ، لـــو سرقَ فيهم ابنُ ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه .

فقال له أميرُهم القيقلان : واللهِ لئنْ كنتَ صادقاً لبطـــنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

ويروى عن يحيى بنِ يحيى الغساني أنه حدّث عن رجلين من قومِهِ قال : لما نزل المسلمون بناحيةِ الأردن ، تحدثنا بيننـــا أن دمشق ستحاصرُ ، فذهبنا نتسوقُ منها قبلَ ذلك ، فبينا نحـــن فيها إذ أرسل إلينا بطريقُها ، فجئناه فقال :

أنتما من العربِ ...؟

قلنا : نعم .

قال : وعلى النصرانيةِ ...؟

قلنا :نعم .

فقال : ليذهبْ أحدُكما فليتجسّسْ لنا عن هؤلاءِ القـــومِ ورأيهم ، ولْيثبتِ الآخرُ على متاعِ صاحبِهِ .

ففعل ذلك أحدُنا ، فلبث ملياً ، ثم جاءه فقال : جئتُـــكَ من عندِ رجالٍ دقاقٍ يركبون خيولاً عتاقاً ، أم الليلَ فرهبانٌ ، وأما النهارَ ففرسانٌ ، يريشون النبلَ ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدثتَ جليسَكَ حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهـــمِ بالقرآنِ والذكرِ .

قال : فالتفتَ إلى اصحابِهِ وقال : أتاكم منهم ما لا طاقـةَ لكم به .

أحداث معركة اليرموك

اللقـاء :

التقى الجيشان في اليرموكِ ، وخرج المقاتلون المسـلمون على راياتهم ، وعلى ميمنةِ الجيشِ معاذُ بنُ جبـلٍ ، وعلـى ميسرتِهِ نفاثةُ بنُ أسامةَ الكنانيُّ ، وعلى المشاةِ هاشمُ بنُ عتبـةَ بنِ أبي وقاصٍ ، وعلى الخيالةِ خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنـهم أجمعين .

وأقبلَتِ الرومِ بجدّها وحديدِها ، وفخرها وخيلائها وقـد سَدَّتْ بكثرتها أقطارَ تلك الارضِ سهلَها ووعرهـا وكـأنهم غمامةٌ سوداءُ ، وهم يصيحون بأصواتٍ مرتفعةٍ ، ورهبـانهم يتلون الإنجيلَ ، ويحثونهم على القتالِ ، ويشـجعونهم علـى الثباتِ لدحرِ المسلمين ، وردّهم على أعقابهم .

نظر خالدٌ ﷺ إلى الرومِ فبهره ذلك المشهدُ ، وما فيه مـن جموعٍ كثيرةٍ ، وأصواتٍ عاليةٍ ، ورجاتٍ عنيفةٍ هـزَّتِ الارضَ هزاً ، وملأتِ الأفق من حولها خوفاً ورعباً ، فقـرر بذكائـه

الخارقِ وبفكرهِ الثابتِ أن يجريَ بعض التعديلاتِ في صفوفِ جيشِهِ قبلَ أن يُصابَ جنودهِ بالخوفِ والوهنِ ، ويسريَ بين صفوفهم الذعر والفوضى .

فطلب من أبي عبيدة أن يترك القلب ، ويرجعَ إلى المؤخرةِ حتى إذا ما فكَّرَ أحدٌ بالهربِ رآه فاستحيا منه ، ورجع إلى مكانهِ في أرضِ المعركةِ .

وجعل مكانَهُ سعيدَ بنَ زيدٍ ﷺ ، وهو واحدٌ من العشرةِ المبشرين بالجنةِ على لسانِ رسولِ الله ﷺ .

ثم دعا النساءَ وأعطى كلَّ امرأةٍ منهنَّ سيفاً ، وأمرَهُنَّ أن يقفنَ خلف صفوفِ المقاتلين المسلمين من كلِ جانبٍ وقال لهنّ: مَنْ يولِّ هارباً فاقتلْنَهُ ، ثم رجع إلى موقِعِهِ في قيادةِ المعركةِ.

أقوالٌ صادقةٌ في الحثِ على القتالِ

١ ــ ولّما تراءى الجمعان ، وتبارز الفريقان وقف بعــــضُ الصحابةِ رضي الله عنهم يعظون المسلمين ، ويحثونهم علــــى القتالِ ، ويذكرونهم بفضلِ الصبرِ والثباتِ في وجهِ العـــدو ، وعدمِ الفرارِ من أرضِ المعركةِ امتثالاً لقولِ الحق تبارك وتعالى:

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتُمُ الذين كفروا زحفاً فــــلا تُولُّوهمُ الأدبارَ . ومنْ يُولهم يومئذٍ دبُرَهُ إلا متحرفاً لقتـــالٍ أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من اللهِ ومأواهُ جهنم وبئــــسَ المصيرُ ﴾ [١].

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكـــــروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [٢] من أجلِ هذا ، وامتثالاً لقولِ الحـقِ تبارك وتعالى قام المؤمنون الصادقون ، المخلصـــون لدينـــهم

---

[١] الآيتان ١٥ ــ ١٦ من سور ة الأنفال

[٢] الآية ٤٥ من سورة الأنفال .

وعقيدهم ، والغيورون على أمتهم ووطنهم ، الحريصون على تحقيق النصرِ ، ورفع لواءِ الإسلامِ عالياً خفاقاً ، منهم :

١ ـ أبو عبيدة عامرُ بنُ الجراحِ ﷺ :

وهو واحدٌ من العشرةِ المبشرين بالجنةَ .

فقد قام ﷺ ، ووقف أمام المسلمين خطيباً فقالِ : عبادَ الله، انصروا اللهَ ينصركم ويثبتْ أقدامكم . يامعشرَ المسلمين، اصبروا ، فإن الصبرَ منجاةٌ من الكفرِ ، ومرضاةٌ للربِ ، ومدحضةٌ للعارِ ، ولا تبرحوا[١] مصافَّكم ، ولا تخطوا إليهم خطوةً ، ولا تبدؤوهم بالقتالِ ، وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرقِ [٢] ، والزموا الصمتَ إلا مِنْ ذكرِ اللهِ في أنفسكم حتى آمركم إن شاء اللهُ تعالى .

٢ ـ معاذُ بنُ جبلٍ ﷺ :

الذي خرج على الناسِ وجعل يذكرهم باللهِ تعالى ، وأنهم حفظةُ كلامِ اللهِ تعالى الذين شرّفهم اللهُ تعالى بحمله في أفئدتهم،

---

[١] لاتبرحوا : لا تغادروا .

[٢] الدرق : ضرب من التّروس ، الواحدة : درقةٌ .

وحفظه في صدورهم ، والعمل بأحكامهِ وآدابه ، وأنهم أولى الناسِ بالصبرِ والثباتِ عند المحنِ والشدائدِ ولقاءِ العدو ، فقال ﷺ :

ياأهلَ القرآنِ ، ومتحفظي الكتابِ ، وأنصارَ الهدى والحقِ، إن رحمةَ اللهِ لا تُنالُ وجنَتَهُ لا تُدخل بالاماني ، ولا يؤتي اللهُ المغفرةَ والرحمةَ الواسعةَ إلا الصادقَ المصدِّق .

ألم تسمعوا لقولِ اللهِ تعالى : ﴿وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ [1] . فاستحيوا رحمكم اللهُ من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضتهِ وليس لكم مُلْتحدٌ [2] من دونهِ ، ولا عزٌ بغيره .

٣ ــ وكذلك وقف عمرو بنُ العاصِ ﷺ يخطبُ بالمسلمين، ويحثهم على التضحيةِ والفداءِ في سبيلِ اللهِ تعالى ، فقال: ياأيها المسلمون ، غضوا الأبصار ، واجثوا على

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النور .

(٢) مُلْتحدٌ : ملجأً .

الركب، وأشرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم فامهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة [1] فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فو الذي يرضي الصدق ، ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ، ويجزي بالإحسان إحسانا لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا [2] ، وقصرا قصرا ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل .

٤ ـ أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه :

الذي كان له شرف المشاركة في هذه المعركة الخالدة ، وشرف تشجيع المسلمين ، وإلهاب حماسهم للذود عن حمى الإسلام والاستبسال في سبيل الله تعالى ، فقام خطيبا وقال :

يامعشر المسلمين ، أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل ، نائين[3] عن أمير المؤمنين ، وإمسلم المسلمين، وقد أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم

---

[1] الأسنة : الرماح .

[2] الكفر بفتح الكاف وسكون الفاء : القرية ، والجمع : كفور .

[3] نائين : بعيدين .

حنقةُ [1] ، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القومِ ، ولا يبلغ بكم رضوانَ الله غـــداً إلا بصدقِ اللقاء، والصبرِ في المواطنِ المكروهةِ .

ألا وإنها سنةٌ لازمةٌ ، وإن الأرضَ وراءكم ، وبينكم وبـين أمير المؤمنين وجماعةِ المسلمين صحارى وبراري ليس لأحـــدٍ فيها معقلٌ ولا معدِل إلا الصبرُ ، ورجاءُ ماوعَدَ الله فهو خـــيرٌ معولٍ ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتعاونوا ولتكنْ هي الحصـــون ثم ذهب إلى النساءِ فخطب فيهن ، ووعظهنَّ ، وأوصاهُنَّ بالصبرِ والتقوى ومراقبةِ الله تعالى في السرِ والعلانيةِ .

ثم رجع إلى صفوفِ المقاتلين فوعظهم وقال : يامعاشِرَ أهلِ الإسلام ، حضر ماترون فهذا رسولُ الله والجنـــةُ أمـــامكم ، والشيطانُ والنارُ خلفكم .

٥- أبو هريرة عبدُ الرحمن بنُ صخرٍ الدوسيُّ رضي الله عنه :

كذلك كان له موقفٌ شجاعٌ ، وكلمةٌ طيبةٌ تركت أثـــراً طيباً في قلوبِ المسلمين ، فقد وقف خطيباً أمـــام المقـــاتلين ،

[1] الحنق : الغيظ ، وحنق حنقاً : اغتاظ فهو حَنِقٌ .

وأخذ يذكرهم بما أعد الله تعالى للمجاهدين والشهداء في سبيله من نعيم مقيم ، ورزق كريم، وجزاء جزيل دائم ، وخالد ، فقال ﷺ :

سارعوا إلى الحور العين ، وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم .

ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم .

ولقد سرت هذه الكلمات الصادقة إلى قلوب المقاتلين فأثارت فيها روح الحماسة والشجاعة وحب الموت في سبيل الله طيبة به نفوسهم ، صادقة به قلوبهم ، مشتاقة إليه أرواحهم، متسابقون لنيل رضوان الله تعالى ، واللحاق برسولهم وكأنهم معه على موعد ، فالله تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ [1]

ولأبي سفيان موقف آخر مشرف ، فقد وقف أمام المسلمين

---

[1] الآية ٤٠ من سورة الحج .

ورفع يديه إلى السماء يدعو الله عز وجل بعـــد أن خـــاطب المسلمين قائلاً : الله .... الله ... إنكم دارةُ العربِ وأنصارُ الإسلامِ، وإنهم دارةُ الرومِ وأنصارُ الشركِ اللهم إن هذا يـــومٌ من أيامِكَ اللهم أنزلْ نصرَكَ على عبادِكَ .

وقد روي أنه كان يومئذٍ مع المسلمين مئةٌ من أهلِ بدرٍ، وهم أفضلُ الصحابةِ على الإطلاقِ ﷺ وأرضاهم .

المبـارزةُ : خالدٌ ﷺ وما هان قائدُ جيش الروم .

قبل بدءِ المعركة برز ماهانُ قائدُ جيشِ الـــروم في أرض المعركةِ ، وطلب خالداً للمبارزةِ ، فبرز إليه خالدٌ فلما تحاذيا ، وأصبحا وجهاً لوجهٍ قال ماهانُ : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهدُ والجوعُ ، فهلمّوا إلى أن أعطي كلّ رجـــلٍ منكم عشرة دنانيرَ وكسوةً وطعاماً وترجعون إلى بلادِكـــم ، فإذا كان من العامِ المقبلِ بعثنا لكم بمثلها .

فلما سمع خالدٌ ﷺ كلامَهُ ، ولمسَ منـــه ســوءَ الأدبِ والإهانةَ ، رَدَّ عليه بإهانةٍ مماثلةٍ ، بل رَدَّ عليه بتهديدٍ ووعيدٍ ، وما كان لخالدٍ ﷺ أن يقبلَ بمثلِ هذه الإهانةِ أو يسكتَ عنــها

وهو الذي كرَّمهُ اللهُ عز وجلّ بالإسلامِ، وأَعَــــزّه بالإيمـــان ، وشَرَّفَهُ بصحبةِ رسولِ الله ﷺ ، وتمثيل المســــلمين في النبـــلِ والشهامةِ والبلاءِ ، خاصةً في مثلِ هذا الموقفِ الذي يجـبُ أن يُظهِرَ فيه كلٌ إباءٍ وعزةٍ وشمــــوخٍ ، ولله العــزةُ ولرســولِهِ وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون .

لذلك رَدَّ عليه خالدٌ ﷺ قائلاً : إنه لم يخرِجْنا من بلادنـا الجوعُ كما ذكرت ، ولكننا قومٌ نشربُ الدماءَ ، وقد علمنـا أنه لا دمَ أشهى ولا أطيبُ من دم الرومِ فجئنا لذلك .

فقال بطارقةُ الرومِ ، هذا واللهِ ما كنا نحدَّثُ بـــه عــنِ العربِ.

بـدءُ القتالِ :

ألقى خالدٌ ﷺ كلماتِهِ الرائعةَ ، وتهديداتِهِ الجريئة أمـــام ماهانَ وبطارقِتِه وجنودِهِ ، ثم لوى عنقَ جــــوادِهِ راجعــاً إلى صفوفِ جيشِهِ مؤذناً ببدءِ القتالِ ، قائلاً : اللهُ أكــبرُ ، هُبّــي رياحَ الجنَّةِ ، ثم مدَّ يمينَهُ ملوِّحاً بسيفهِ البتَّارِ الذي أخذ يشـــقُّ

الهواءَ وله لمعانٌ كالبرقِ ، وصوتٌ كقصفِ الرعدِ كأنه ينـــذرُ الرومَ بالموتِ الزؤامِ ، ويحملُ لهمُ المنايا ، ويؤذنُ بنهايتـــهم و دمارِهم وطردِهم وإلى الأبدِ من أرضِ العربِ .

والتحم الجيشان ، وشدَّ كلٌّ فريقٍ على عدوه، وحمـــيَ الوطيسُ ، وتهاوتِ السيوفُ ، وتصايح الفرسانُ ، وتواثـــبت المنايا، وتساقطتِ القتلى ، وتنادى المسلمون بشعارِهِمُ المقدسِ الله أكبرُ .. الله أكبرُ .. وا محمداه .. وا محمداه ..

هذا .. وكلُ قائدِ كردوسٍ يشجعُ جنـــودَه ، ويذكـــي فيهم روحَ التضحية والفداء ، والنســـاءُ يشـــجعنَهم علـــى الصمودِ وعدمِ الفرارِ ، ويُسمِعْنَهم عباراتِ الحثِ على الصـبر والمضاءِ ، ويلهبْنَ حماسَهم على الكرِ وتسطير آياتِ البطولـةِ و المضاءِ ..

صورٌ من بطولاتِ الصحابةِ

ولقد أبلى المسلمون يومئذٍ بـلاءً حسـناً ، وقـاموا ببطولاتٍ رائعةٍ تفوقُ الخيالَ وتذهـلُ العقـولَ ، وتدهـشُ الأبصار .

١- فهذا المقدادُ بنُ الأسودِ ﷺ الذي أخذ يدور بـين المسلمين ، ويخطرُ بجوادهِ وسطَ جنودِ الروم فيخترقُ جموعَـهم لينتهيَ إلى الطرفِ الآخرِ وهو يتلو آياتِ الجهادِ من سـورةِ الأنفالِ بلسانهِ ، بينما سيفُهُ يقطفُ رؤوسَ الكفـرِ ويحطّـم هاماتِهم وكأنه بمفردهِ جيشٌ كاملٌ وجرارٌ ، وهو يلوحُ بسيفِهِ في الأفقِ وكأن الناظرَ إليه لا يكادُ يبصرُ فارساً واحداً ، وإنمـا ينظرُ إلى جيشٍ لجبٍ سَدَّ بكثافتِهِ الأفق يميناً وشمالاً ، وأمامـاً وخلفاً ، فكان لهذا المشهدِ البطولي الرائعِ أثرُهُ في رفعِ معنوياتِ المسلمين ، وخفضِ معنويات الرومِ الذين لم يصدقوا ما يـرون وما تقعُ عليه أبصارُهم ، وما يلمسونه من شجاعةِ المسـلمين وتضحياتهم الفائقة والمبهرة .

ذلكم هو المقدادُ بنُ الأسودِ ﷺ وأرضاه الذي عُرِفَ بين جميع أصحابِ رسولِ الله ﷺ بأنه ﴿ أولُ مَنْ عدا به فرسُـهُ في سبيلِ الله ﴾ . والذي : وقف نفسَهُ للجهادِ في سبيلِ وقـال : لأموتَنَّ ، والإسلامُ عزيزٌ . والذي قـال عنه عبـدُ الله بـنُ مسـعودٍ ﷺ : لقد شهدتُ من المقدادِ مشهداً لأنْ أكـونَ صاحبَهُ أحبُّ إليَّ مما في الأرضِ جميعاً .

وهو صاحبُ الموقفِ البطولي الرائع ، والكلمةِ الجريئـةِ الخالدةِ يومَ أقبلَتْ قريشٌ في بأسِها الشديد ، وإصرارِها العنيد، بحدِّها وحديدها ، بفخرِها وخيلائِها ، بصلفِها وكبريائِها تحـادُّ اللهَ ورسولَهُ .

في ذلك اليومِ كان للمقدادِ موقفٌ بطوليٌّ رائعٌ ومشهودٌ لا يقلُّ عن موقفِهِ هذا بطولةً وفداءً ، وتضحيـةً وإباءً ، يـومَ قال للنبي ﷺ يومَ بدرٍ :

يا رسولَ الله ، امضِ لما أراكَ اللهُ ، فنحنُ معك . واللهِ لا نقولُ لك كما قالَتْ بنو إسرائيلَ لموسى : اذهب أنت وربُـكَ فقاتلا ، إنّا ههنا قاعدون .

بل نقولُ لكَ : اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنّا معكما مقاتلون .

والذي بعثَكَ بالحقِ ، لو سرتَ بنا إلى برك الغماد [1] لجالدنا معك من دونِهِ حتى تبلُغَهُ ، ولنقاتلَنَّ عن يمينكَ، وعن يسارِكَ ، وبين يديكَ ، ومن خلفِكَ حتى يفتحَ اللهُ لك .

مشهدٌ بطوليٌ رائعٌ ، ولوحةٌ صادقةٌ أخاذةٌ لم يسبِقْ لها مثيلٌ في ضربِ أروعِ الأمثلةِ في الصدقِ والثباتِ ، والشجاعةِ والإخلاصِ .

٢- الزبيرُ بنُ العوامِ ﷺ :

وكان أفضلَ صحابي يومئذٍ ، وهو الذي قال عنه رسولُ الله ﷺ : إنّ لكلِ نبيٍّ حوارياً ، وحواريي الزبيرُ بنُ العوامِ .

وهو الذي كان فارساً مغواراً ، وبطلاً مقداماً منذ صباهُ وشبابِهِ، حتى لقد رويَ أن أولَ سيفٍ امتُشِقَ في الإسلامِ كان سيفَ الزبيرِ بنِ العوامِ .

---

[1] برك الغماد : موضع بناحية اليمن .

وهو الذي تحدّث عنه بعضهم ، فقال :

صحبتُ الزبيرَ بنَ العوّامِ في بعضِ أسفارِه ورأيتُ جسدَهُ، فرأيتُهُ مُجَذّعاً[1] بالسيوف ، وإن في صدرِه لأمثالَ العيونِ الغائرةِ من الطعن والرمي فقلت له : واللهِ لقد شهدتُ بجسمِكَ ما لم أرَهُ بأحدٍ قطُّ .

فقال لي : أما واللهِ ما منها جراحةٌ إلا مع رسولِ الله ﷺ، وفي سبيلِ الله .

وهاهو ذا الآن يوم اليرموك وقد أضحى وحدَهُ جيشاً كاملاً ، وقد حمل على جموعِ الرومِ المحتشدةِ كالجبالِ ، ونادى بأعلى صوتِهِ : الله أكبر ، ثم اخترق تلك الجموعَ الزاحفةَ وحدَهُ، وهو يضرب بسيفِهِ يميناً وشمالاً حتى انتهى إلى آخرِ جيشِ الروم ، ثم قفل راجعاً وسط الجموعِ المحتشدةِ ذاتِها ، وسيفُهُ يتوهّج في يمينهِ لا يكبو ، ولا يخبو ، بل نزل على الرومِ كالصاعقةِ يحصدُ جموعَهم حصداً ، ويقطفُ رؤوسَهم بسيفِهِ قطفاً .

---

(1) المجذع : المقطع .

وبينما هو كذلك ا إذ تقدم إليه نفرٌ من الأبطالِ فقالوا: ألا تحملُ معنا على العدوِ فنحملَ معك .. ؟

فقال لهم : إنكم لا تثبتون .

قالوا : بلى .

فحمل على الرومِ ومضى يخترقُ صفوفَهم ، فحمل المسلمون معه ، فلما رأوا صفوفَ الرومِ أحجموا ، وكان الزبير ﷺ قد اخترق صفوفَ الرومِ حتى خرج من الجانبِ الآخرِ، وعاد إلى أصحابِهِ ، ثم فعل ذلك مرةً ومراتٍ ، ولم يُصَبْ يومئذٍ سوى بجرحين بين كتفيه ، ﷺ وأرضاه .

٣- عكرمةُ بنُ أبي جهل ﷺ:

الذي قال يومئذٍ : قاتلتُ رسولَ اللهِ ﷺ في مواطِنَ وأفرُّ منكمُ اليومَ ..؟

ثم أخذ يحرّض الناسَ على الشجاعةِ والاستقبالِ ، ونادى: مَنْ يبايعُ على الموتِ ..؟ فاستجاب لـه نفرٌ من المخلصين ، منهم عمُّهُ الحارثُ بنُ هشامٍ ، وضِرارُ بنُ الأزور ومعهم أربعمئةٍ من المقاتلين الشجعانِ فبايعوه على الموتِ

وانطلقوا بين جموع الرومِ يضربون أروعَ الأمثلةِ في الشـجاعةِ والإقدامِ حتى أثبتَهُمُ الجراحُ، وقُتِلَ عددٌ منهم ممن بايعوا علـى الموتِ ، ﷺ وأرضاهم ، ﴿ إنَّ اللهَ اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيلِ الله فيقتلُون ويُقتَلـون وعداً عليه حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ومَنْ أوفى بعـهدِهِ من اللهِ فاستبشروا ببيعكمُ الذي بايعتم به وذلك هو الفـوزُ العظيم ﴾ [1]

فما أعظمَ هذا التبايُع .. !! وما أجلّ خَطَرَهُ .. !! فـإن اللهَ عزَّ وجلّ هو المشتري . و الثمنُ جناتُ النعيمِ ، والفـوزُ بالرضوانِ العميم ، ونَيلُ رحمةِ ربِ العالمين ، وذلك هو الفـوزُ العظيم .

٤- رجلٌ مجهولٌ ﷺ :

وهو الذي جاء إلى أبي عبيدةَ ﷺ ، والمعركةُ على أشُدِّها قويةً ضاريةً فقال : يا أبا عبيدةَ ، إني قد هيأتُ للاستشـهادِ فهل لك من حاجةٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ .. ؟

---

[1] الآية ١١١ من سورة التوبة .

قال : نعم ، تقرئُهُ عني السلامَ وتقولُ : يا رســولَ الله ، إنا قد وجَدْنا ما وَعَدَنا ربُنا حقاً .

ثم اندفع في أرضِ المعركةِ فقاتَلَ القومَ حــتى قتــل رضي الله عنه وأرضاه . وحمل خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه ومِنْ معه من الفرســان على جنودِ الروم حملةَ رجلٍ واحدٍ فقتلوا منهم عدداً كبيراً لا يُحصى. وثبت كلٌ فريقٍ في وجــهِ الآخــرِ، وصمــدوا في أماكِنِهم، ورفعوا راياتهم ، وجعلتِ الرومُ تدورُ كمــا تــدورُ الرَّحا ، فلم تَرَ يومئذٍ إلا مخاً ساقطاً ، ومعصماً نادراً ، وكفــاً طائرةً في ذلك الموطنِ .

٥- معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه :

في هذا الجو الساخنِ ، والمعركةُ على أشُدِها قويةً حاميةً ضاريةً انطلق معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه، وقد رفع يديه إلى الســماء وأخذ يدعو ربَّه عزَّ وجلَّ ويقولُ : اللهم زلــزلْ أقدامَــهم ، وأرهِبْ قلوبَهم ، وأنزِلْ علينا الســكينةَ ، وألزِمْنــا كلمــةَ التقوى، وحببْ إلينا اللقاءَ ، وأرضِنا بالقضاءِ.

واستمرَّت المعركةُ بين الطرفين ، وتنـــازلَ الأبطـــالُ ، وتبارزَ الفرسانُ ، وحميتِ الحربُ ، وقامتْ على ساقٍ، وخرج قائدُ ميسرةِ الرومِ فحمل بِمنْ معه من الفرسانِ على ميمنـــةِ المسلمين حتى تغلَّبَ عليهم ، وجعلهم يغادرون أماكنَـــهم ، وهرب مَنْ هربَ منهم ، ثم تنادَوا فتراجعوا وحملوا على الروم وشدُّوا عليهم شدة رجلٍ واحدٍ حتى أزالوهم عن مواقعـــهم لتعودَ الكرةُ للمسلمين ، وتدورَ الدائرةُ على الكافرين .

وكانت نساءُ المسلمين قد استقبلْن مَنْ هرب ، وجعلْـــنَ يضرْبنَهم بالخشبِ ويرمينَهم بالحجارةِ ، ويرفعْنَ الســيوفَ في وجوهِهم ، ويوبخْنَهم على الفرارِ من وجهِ العـــدوِ ، وقـــالتْ خولةُ بنتُ ثعلبةَ رضي الله عنها ، وهي التي أنزل الله عز وجلّ فيها قولَهُ : ﴿ قد سمِعَ اللهُ قولَ الـــتي تجـادلُكَ في زوجـــها وتشتـــــكي إلى اللهِ واللهُ يسمـــعُ تحاوركَمـــــا إنَّ اللهَ سميـــعٌ بصـــيرٌ ﴾ [1].

[1] الآية ١ من سورة المجادلة .

فجعَلتْ تنادي الفارّين تقول :

ياهارباً عن نسوةٍ نقيّات فعن قليلٍ ماترى سبيّاتْ
ولا حصينات ولا رضيات

فلما سمع الفارّون كلامَها خجلوا من أنفسِهم ، واستحيوا من النساءِ ، فرجعوا إلى مواقِعهم يقاتلون بكل صدقٍ وإخلاص نيةٍ ، ولم يتخلّفْ منهم أحدٌ .

وكأنَّ الله عز وجلّ جعل الدائرةَ عليهم لفترةٍ وجيزةٍ لأمرٍ يريده ، وهو الكشفُ والتمحيصُ ، والامتحانُ والتمييزُ، كما امتحنهم يومَ أُحُدٍ ، ومحّصَ قلوبَهم ، ثم أنزل قولَهُ على قلبِ النبي ﷺ : ﴿ وليبتليَ الله ما في صدورِكم وليمحِّصَ ما في قلوبِكم والله عليمٌ بذاتِ الصدور ﴾ [1] صدق الله العظيم .

فلما رأى خالدٌ ﷺ تراجعَ بعضِ فرسانهِ حمل على ميسرةِ الرومِ التي حملَتْ على ميمنةِ المسلمين، وقتل منهم عدداً كبيراً حتى أزالهم هو ومَنْ معه من فرسانِ المسلمين ،

---

[1] الآية ١٥٤ من سورة آل عمران .

وقد رويَ أنه قتل في حمـــلتِهِ تلك ســـتةَ آلافٍ بين فـــارسٍ وراجـــلٍ [١] ثم قال لأصحابهِ: والذي نفسي بيـــدِهِ لم يبـــقَ عندهم من الصبرِ والجَلَدِ غيرُ ما رأيتم وإني لأرجو أن يمنحَكَـمُ الله أكتافَهم .

ثم انقضَّ على الرومِ فحمل عليهم بمئةِ فارسٍ معه علـــى نحوٍ من مئةِ ألفٍ ، فما وصل إليهم حتى انفضَّ جمعهم ، فحمل عليهمُ المسلمون حملةَ رجلٍ واحدٍ ، فهربوا أمامـــهم فتبعَـــهُمُ المسلمون لا يمتنعون منهم .

وكان القيقلانُ ، وهو أحدُ قادةِ الرومِ قد وقف مع عددٍ من أشرافِ قومِهِ من الرومِ وقالوا : إذا لم نقدِرْ على نصرِ دينِ النصرانية فلْنُمتْ على دِينِهم . فانقضَّ عليـــــهمُ المســـلمون فقتلوهم عن آخِرِهم .

وثبت المسلمون ثباتاً مشرفاً ، وقاتلوا قتـــالاً عظيمـــاً ، وأبلَوا بلاءً حسناً ، وقال أبو سفيانَ لابنِهِ يزيد وهو يعظُـــهُ ، ويحثُّهُ على القتال :

---

[١] الراجل : للماشي على رجليه وليس له فرسٌ يركَبُهُ ، الجمع : رجال .

يا بُنيَّ ، عليك بتقوى الله والصبرِ ، فإنه ليس رجلٌ بهــذا الوادي من المسلمين إلا محفوفاً بالقتالِ ، فكيف بك وبأشباهكَ الذين وُلّوا أمورَ المسلمين .. ؟ ..!! أولئك أحقُّ الناسِ بالصبرِ والنصيحةِ .

فاتقِ الله يا بُنيَّ ، ولا يكونَنَّ أحدٌ من أصحابكَ بــأرغبَ في الأجرِ والصبرِ في الحربِ ، ولا أجَر أَعلى عــدو الإســلامِ منك .

فرَدَّ عليه ابنُهُ يزيدُ قائلاً : أفعلُ إن شاء اللهُ ، وانطلـــق وسطَ صفوفِ الرومِ وراح يقاتلُ قتالاً شديداً ﷺ وأرضاه .

وقال سعيدُ بنُ المسيّبِ عن أبيه قال : هدأت الأصـواتُ يومَ اليرموكِ، فسمعنا صوتاً يكادُ يملأُ العسكر يقولُ : يا نصـرَ اللهِ اقتربْ ، الثباتَ .. الثباتَ يا معشرَ المســـلمين . قـــال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيانَ تحت رايةِ ابنهِ يزيدَ .

وقاتَلتْ يومئذٍ نساءُ المسلمين قتالاً شديداً ، وقتلْنَ من الرومِ عدداً كبيراً ، وكُنَّ يضربْنَ مَنْ هرب من المسلمين ويُقلْنَ: أين تذهبون وتدعوننا للعلوجِ .. [1]؟

فإذا زجرْنَهم لا يملكُ أحدٌ نفسَهُ حتى يرجِعَ إلى القتالِ.

لوحةٌ صادقةٌ :

في هذا الموقفِ العصيبِ والمعركةُ قائمةٌ على ساقٍ ، وتحت توهجِ السيوفِ ، وتساقطِ القتلى ، وتواثبِ المنايا ، وتصايح الفرسانِ ، سطّر المسلمون أسمى آياتِ الحبِ والوفاء، ورسموا لوحةً رائعةً في النبلِ والإباء ، وضربوا أروعَ الأمثلةِ في التضحيةِ والفداءِ .

ذلك أن بعضَ المسلمين الذين بايعوا يومئذٍ على الموتِ ، أصيبوا في المعركةِ بجروحٍ أثقلتهم ، وأقعدهم عنِ الحركةِ ، فجيءَ إليهم بإناءٍ فيه ماءٌ ، فلمّا قُدِّمَ لأحدِهم قال : أعْطِها لأخٍ لي بجانبي فهو أحوجُ إليها مني.

---

[1] العلجُ : الرجل الضخم من كفار العجم ، والجمع : علوج وأعلاج .

فدفع إليه الماءَ ، فقال له : أعطها لأخٍ لي بجانبي .

فتدافعوها جميعاً وكلٌّ واحدٍ منهم يفضلُ أخاه المسلمَ على نفسِهِ ، ويؤثره بالماءِ دونه حتى ماتوا جميعاً ، ولم يشربْ واحدٌ منهم من الماءِ قطرةً واحدةً .

فهل سمعنا ، أو قرأنا ، أو رأينا إيثاراً كهذا الإيثار..؟وفداءً لهذا الفداء ..؟؟ ووفاءً كهذا الوفاء ..؟؟ ونبلاً وشهامةً ومروءةً وتضحيةً وإباءً مثل هذا النبلِ والشهامةِ والمروءَة والتضحية والإباء .. ؟؟

وهل تستطيعُ الأرضُ أن تحملَ فوقَ ظهرِها نموذجاً عظيماً من هذا الطرازِ من الناسِ .. ؟؟

إنه لو حدث هذا ، ووُجِدَ مثلُ هؤلاءِ الرجالِ العظامِ على وجهِ هذه الأرض ، لما بقيَتْ أرضاً ، إنها تصيرُ جنةً ونعيماً، وفردَوساً وملكاً عظيماً ، ذلك الفردَوسُ العظيمُ الذي وعد الرحمنُ عبادَه بالغيبِ إنه كان وعده مأتيّاً . هؤلاءِ همُ الذين استحقوا مدحَ الله تعالى لهم ، وثناءَه عليهم بقولِهِ : ﴿كنتم خيرَ أمةٍ أخرِجَتْ للناسِ تأمرون بالمعروفِ وتنهونَ عنِ

المنكرِ وتؤمنون باللهِ ﴾ [1] وهُمُ الذين أثنى اللهُ عـــز وجــلّ عليهم بقولِهِ :

﴿ للفقراءِ المهاجرين الذين أُخرجوا من ديـــارِهِم وأموالِـــهم يبتغون فضلاً من اللهِ ورضواناً وينصرون اللهَ ورسولَهُ أولئــك هُمُ الصادقون . والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ من قبلِهم يحبون مَنْ هاجر إليهم ولا يجدون في صدورِهِم حاجــةً ممـا أوتــوا ويؤثِرون على أنفسِهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومَنْ يُوقَ شُــحَّ نفسِهِ فأولئك هُمُ المفلحون ﴾ [2] صدق اللهُ العظيم .

وفاةُ الصديقِ وعزل خالد :

وبينما كان المقاتلون في جولةِ الحربِ وحومةِ الوغـــى ، والأبطالُ يتصاولون من كل جانبٍ إذ قدم البريدُ من المدينـــةِ فدُفِعَ إلى خالدٍ الذي عجب من مجيئِــهِ في هـــذه اللحظـــاتِ الحاسمةِ، فقال مستفسراً : ماالخبرُ ..؟

---

(1) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(2) الآيتان ٨-٩ من سورة الحشر

فأجابه فيما بينه وبينه سراً : إنّ الخليفةَ الصديقَ ﷺ قد تُوُفِيَ واستُخلِفَ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ خليفةً للمسلمين، وأنه عزل خالداً عن إمرةِ الجيشِ، واستناب عنه على قيادةِ الجيشِ أبا عبيدة عامرَ بنَ الجراحِ ﷺ.

فأسرَّها خالدٌ في نفسهِ ، ولم يُبدِها للناسِ كي لا تدبَّ الفوضى في صفوفِهم ، ويحصلَ الضعفُ والوهنُ ، فقال لحاملِ البريدِ والناسُ يسمعون: أحسنتَ ، وأخذ منه الكتابَ فوضعه في كنانتِهِ ، وتابع ما كان فيه من تدبير أمرِ الحربِ وتشجيعِ الفرسانِ وكأنَّ شيئاً لم يكنْ فالظرفُ لا يسمحُ بالبكاءِ على موتِ الخليفةِ، وبثِّ الأحزانِ ، والاستجابةِ للعاطفةِ ورقةِ القلبِ، لأن في هذه المعركة تحديدَ مصيرِ الإسلامِ ، فلو أنه استسلم للحزنِ أو انقاد للعاطفةِ ، أو استجابَ لداعي الشرِ ، وحَرَصَ على مصلحتِهِ الشخصيةِ من النقمةِ على عمرَ الذي سَلَبَ منه الإمارةَ لأضاعَ الخططِ العسكرية التي أعَدّها لتحقيق النصرِ الذي أصبح وشيكاً ، ولهدم بيدِهِ أغلى وأثمنَ وأعظمَ ما يحلُمُ به قائدٌ محنكٌ مثلُ خالدٍ .

لقد رأى خالدٌ ﷺ أن مصلحةَ الإسـلامِ هـي الأولى ، وهي التي يجبُ أن يكرَّسَ لها كلُّ شيءٍ أما مصلحتُهُ الخاصـةُ فليس لها وجودٌ ، وليس لها حسابٌ أمامَ المصلحـةِ الكـبرى المقدسةِ التي يسعى كلُّ فردٍ من أفرادِ المسلمين لتحقيقـها . ويقف نفسَهُ لخدمتِها .

وما كان لمسلمٍ أياً كان في الدولةِ الإسلاميةِ أن يكـونَ أنانياً، أو حريصاً على مصلحتِهِ الشـخصيةِ دون المصلحـةِ العامةِ، وهذا شيٌ معروفٌ وثابتٌ في التشريع الإسلامي، وهـو تقديمُ المصلحةِ العامةِ على المصلحةِ الخاصةِ عند التعـارضِ، فكيف إذا كان هذا صادراً عن شخصيةٍ عظيمةٍ وقياديةٍ مثـل خالدِ بنِ الوليدِ ﷺ ..!!

ورويَ أن كتابَ عزلِ خالدٍ عن إمرةِ الجيشِ جـاء أولاً إلى أبي عبيدةَ فكتمه عن خالدٍ حتى انتهتِ المعركـةُ. ورويَ أن أبا عبيدةَ لم يخْبِرْ خالداً بأمرِ الكتابِ حتى بعد فتح دمشـقَ بنحوٍ من عشرين ليلةٍ ، فقال له خالدٌ : يرحمُـك اللهُ ، مـا منَعَكَ أن تُعلمَني حين جاءكَ ..؟

فقال : إني كرهتُ أن أكسرَ عليكَ حربَكَ .

وما سلطان الدنيا أريدُ ، ولا للدنيا أعملُ ، وما ترى سيصيرُ إلى زوالٍ وانقطاعٍ ، وإنما نحن إخوانٌ ، وما يضرُّ الرجلَ أن يليَهُ أخوه في دينِهِ ودنياه ..!!..؟ وسواءٌ أُرسِلَ الكتابُ إلى خالدٍ أم إلى أبي عبيدةَ ، وكتمه عن الأخير، فإنه تصرفٌ لبقٌ وحكيمٌ ينبئُ عن عظمةِ صاحبِهِ ، وشفافيةِ نفسِهِ ، ونبلِها ووفائِها وإيمانِها الراسخِ العميقِ ، وحبها للآخرين ، وتقديمِ مصلحتِهم على مصلحتِهِ .

أدبٌ كريمٌ ، وخلقٌ عظيمٌ مستَمَدٌّ من أخلاقِ نبيِّ الإسلامِ، وأستاذِ البشريةِ ومعلمِ الناسِ الخيرَ الذي يقولُ : ﴿لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِهِ﴾ [1] .

---

(١) رواه الشيخان ، وأحمد في مسنده ، والترمذي والنسائي وابن ماجه .

فالتزموا هذا الأدبَ ، وتخلّقوا به ، وعملوا به ظاهراً وباطناً ، وهُمُ الذين أَدَّبَهَمُ النبيُّ ﷺ فأحسن تأديبَهم ، ورباهم فأحسَنَ تربيتَهم .

وهُمُ الذين صَقَلَهُمُ الإسلامُ، وهذَّبَتْ أرواحُهُم على مائدةِ القرآنِ، ونهلوا منه والتزموا أوامرَهُ، واجتنبوا نواهيَهُ، ولبسوه ظاهراً وباطناً .

وهُمُ الذين يتلون صباحَ مساءَ قولَ الحقِ تبارك وتعالى : ﴿ربَنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربَنا إنك رؤوفٌ رحيمٌ﴾ (١)

سببُ عزلِ خالدٍ عن إمرةِ الجيشِ :

كان لعمرَ ﷺ وجهةُ نظرٍ خاصةٌ، وقناعةٌ معينةٌ بخالدٍ ﷺ، فهو يرى فيه التسرعَ ، وعدمَ الصبرِ والأناةِ ، وهذا في رأي عمرَ يؤدي إلى المخاطرةِ بحياةِ المسلمين وهي ثمينةٌ جداً عند عمرَ، يبدو ذلك واضحاً حين طلب من

---

(١) الآية ١٠ من سورة الحشر .

الخليفةِ الصديقِ أن يعزلَهُ وقال له : اعزلْهُ ، فـــإن في ســـيفِهِ رهقاً، أي حدةً وتسرعاً.

كما جاء في كتابه الذي وجَّهَهُ إلى أبي عبيدةَ والذي فيـــه تأميره على الجيشِ بعد عزلِ خالدٍ قولهُ:

أوصيكَ بتقوى اللهِ الذي يبقى ، ويفنى ما سواه ، الـــذي هدانا من الضلالةِ ، وأخرجنا من الظلماتِ إلى النورِ ، وقـــد استعملتُك على جند خالدِ بنِ الوليدِ ، فقم بأمرِهِمُ الذي يحـقُ عليك .

لا تقدمِ المسلمين هلكةً رجاءَ غنيمـــةٍ ، ولا تنـــزِلْهم منـــزلاً قبل أن تتبيّنه لهم ، وتعلم كيف مأتاه .

ولا تبعثْ سريةً إلا في كنفٍ من الناسِ ، وإياكَ وإلقـــاء المسلمين في الهلكةِ ، وقد أبلاكَ بي وأبلاني بك، فغُضَّ بصَـــرَكَ عنِ الدنيا ، وألْهِ قلبكَ عنها ، وإياكَ أن تُهلكَكَ كما أهلكَـــتْ من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعَهم .

إذن فحرصُ عمرَ ﷺ على سلامةِ المسلمين ، وتجنيبُـــهمُ المخاطرَ هو الذي دعاه إلى عزلِ خالدٍ .

ولعلّ أمراً آخرَ هو السببُ في عزلِ خالدٍ ، وهو أن المسلمين تولّدَتْ لديهم قناعةٌ بأن خالداً إن قاد جيشاً كـــان النصـــرُ محققاً لا محالةَ ، فأراد عمرُ ﷺ أن يغيّر هذه القناعةَ ، ويثبـتَ لهم أن كلّ مسلمٍ جديرٌ بالقيادة ، وقادرٌ على صناعة النصـــو وتحقيقِهِ إن وُجدَتْ لديه أهليةُ القيادةِ وشروطُها . ولقد فسَّرَ عمرُ ذلك بقولِهِ: إنما عزلته ليعلمَ الناس أن الله نصَرَ الديـنَ ، وأن القوةَ لله جميعاً.

ومع ذلك لم يبخسْهُ حقَهُ ، ولم يشُكَّ بجدارتهِ وكفاءتِـــهِ وأهليتِهِ للقيادةِ فقال له حين عزله : إنك عليَّ لكريمٌ وإنـــك عندي لعزيزٌ، ولن يصلَ إليكَ مني أمرٌ تكرهُهُ بعد ذلك .

وروي أن عمرَ ﷺ قال لعلي بن أبي طالبٍ ﷺ : ندمـتُ على ما كان مني .

وقال : رحم اللهُ خالداً ، لقد كنا نظنُّ به أمـــوراً مـــا كانَتْ.

وحين بلغه موتُ خالدٍ استرجع [1] وقال : كان واللهِ سَدّاداً لنحورِ العدوِ ، ميمونَ النقيبةِ .

وقال فيه : رحمَ اللهُ أبا سليمانَ ، ما عند الله خيرٌ له مِمّا كان فيه ، ولقد مات سعيداً ، وعاش حميداً .

كما أن خالداً ﷺ لم يحزنْهُ العزلُ عنِ الإمارةِ ولم يغضبْهُ ، ولم يجعلْهُ يثورُ على عمرَ أو ينقمُ عليه، أو يقومُ بثورةٍ معاديةٍ لنظام عمرَ وحكمِهِ بل اكتفى بقوله : واللهِ ما سَرَّتنا إمارتُكم ، ولا ساءَ نا عزلُكم .

فخالدٌ هو خالدٌ جندي شجاعٌ ، ومجاهدٌ صادقٌ باع نفسَهُ ووقفها في سبيلِ اللهِ ، فهو الذي باع نفسَهُ للهِ ربِ العالمين ، والأمر سيان عنده أكان قائداً أم جندياً عادياً ، وسواءٌ أكان أميراً أم مأموراً ، وسيفُهُ .. هو .. هو لم يتغيّرْ لم يكبُ ، ولم يخبُ ، ولم يكن قاطعاً بتاراً إن كان قائداً ، ولم يصبحْ مثلماً مفلولاً إن كان مقوداً، أو جندياً عادياً .

---

[1] استرجع : أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ولقد عَبَّرَ عن ذلك حين جمع الجندَ وأخبرهم بعزله وتولية أبي عبيدةَ وقال لهم : بُعِثَ إليكم أمينُ هذه الأمـــةِ ، سمعـــتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : أمينُ هذه الأمةِ ، أبو عبيدةَ بنُ الجراح.

كلماتٌ عظيمةٌ تنبئُ عن عظمةِ قائِلِها ، وطهارةِ روحِـــهِ ، وشفافيةِ نفسِهِ ، فهل بعد هذه الكلماتِ من عظمـــةٍ وأُبَّهـــةٍ وطهارةٍ وصدقٍ وإخلاصٍ ووفاءٍ ..!!

خالدٌ وجرجه :

خرج جرجَهْ وكان أحـــدَ قُــوّادِ الــرومِ وفرســانِهمُ المعدودين، خرج من بين صفوفِ جنودِهِ وقد بهرتْهُ شـــجاعةُ خالدٍ وبطولتُهُ الفائقةُ ، فنادى خالداً للمبارزةِ ، فبرز إليه خالدٌ ودنا منه حتى اختلفت أعناقُ فرسيهما ، فقال له جرجَهْ :

يا خالدُ ، أخبرني فاصدُقْني ولا تكذِبْني ، فإنَّ الحـــرَّ لا يكذبُ ، ولا تخادعْني فإن الكريمَ لا يخادعُ .

هل أنزل اللهُ على نبيكم سيفاً من السماءِ فأعطاكه ، فلا تسلُّهُ على أحدٍ إلا هزمتَهُ .. ؟

قال : لا

قال : فبمَ سُمّيتَ سيفَ الله ..؟

قال : إنَّ اللهَ بعث فينا نبيّهُ ، فدعانا ، فنفَرْنا منـــــــه ، ونأيْنا [1] عنه جميعاً ، ثم إن بعضَنا صَدَّقَهُ وتابَعَـــهُ ، وبعضَنـــا كذّبه وباعَدَهُ ، فكنتُ فيمن كَذَّبَهُ وباعدَه.

ثم إنَّ اللهَ أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي : أنتَ سيفٌ من سيوفِ الله سلّه اللهُ على المشركين ، ودعا لي بالنصرِ ، فسُمِّيتُ سيفَ اللهِ بذلك ، فأنا من أشدِّ المسلمين على المشركين .

فقال جرجَةْ : يا خالدُ، إلام تدعون ..؟

قال خالدٌ : إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، والإقرارِ بما جاء به من عندِ اللهِ عزّ وجلّ .

قال : فَمنْ لم يجبْكُم ..؟

قال : فالجزيَةُ ونمنعُهم .

قال : فإن لم يعْطِها .

قال : نؤذنُهُ بالحربِ ثم نقاتلُهُ .

---

(١) النأي : البعد .

قال : فـــما منــزلة من يجيئكم ويــدخل في هـــذا الأمر اليوم ..؟

قال : منــزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شـــريفنا وضعيفنا وأولنا وآخرنا .

قال جرجه : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل مـــا لكم من الأجر والذخر؟

قال : نعم ، وأفضل .

قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ..؟

قال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة ، وبايعنا نبينا وهـــو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينـــا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنـــا أن يســـلم ويبايع.

وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا مــــن العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

فقال جرجه : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ..؟

قال : تالله لقد صدقتُكَ ، وإن اللهَ وليٌّ ما سألتَ عنه .

فعند ذلك قلبَ جرجَهْ ترسَهُ وقال لخالدٍ : علّمني الإسلام يا خالدُ..؟

فأخذه خالدٌ إلى فسطاطِهِ فعلّمَهُ الغسلَ والوضوءَ ، ولقّنَهُ الشهادةَ ، وصلى به ركعتين .

بدُء القتالِ مرةً أخرى :

ولم يكدِ القائدُ الرومانيُّ يسلمُ على يدِ خالدٍ ويصلي معه ركعتين لله ربِ العالمين حتى استأنف الجيشان القتال ، وحمل كلٌّ فريقٍ على الآخرِ فكانتِ الغلبةُ للرومِ الذين استطاعوا أن يبعدوا المسلمين عن مواقِعِهم إلا الجهةَ التي كان فيها عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ ، وعمُّهُ الحارثُ بنُ هشامٍ ، فقد صمدا مع مَنْ معهما من جنودِ المسلمين حتى دحروا الروم وأزالوهم .

فانقضَّ خالدٌ وجرجَهْ ، وتنادى المسلمون ، وشدّوا على الروم حتى هزموهم وانطلق خالدٌ وجرجه يقودان المسلمين من لدن شروقِ الشمسِ حتى مالَتْ للغروب ، وصلى المسلمون يومئذٍ صلاتيِ الظهرِ والعصرِ إيماءً ، وأنزل اللهُ عليهم نصرَهُ

وفتح عليهم ، وأمَدَّهم بالصبرِ والقوةِ حتى دحروا أعداءهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، وهربَ فرسانُهم ، وتفرقوا في الأرضِ ، وتبعهمُ المسلمون في قلبِ الصحراءِ .وقد ركبوا أكتافهم ، وأنزلوا بهم القتلَ والتشريدَ ، وكان خالدٌ قدِ اقتحم على الخيالةِ أماكنَهم حتى تراكمتِ القتلى أمامَهُ كأنهم جدارٌ قد هُدِمَ .ثم مالَ بمَنْ معه من الأبطالِ على الذين لجؤوا إلى الخندقِ ، فاقتحم عليهم خندقَهم ، وأمر المسلمين أن يؤخروا صلاة المغربِ، فلما خيَّمَ الظلامُ انقضّ عليهم بجنودهِ الشجعان، وكان الروم قد أخذوا مواقعَهم ناحيةَ وادي اليرموك كما تقدم ، والمسلمون في الجهة الأخرى حيثُ المجالُ واسعٌ لتلقي البُرُدِ والمدد.

فلمّا دارتِ الدائرةُ على الرومِ وهربوا ، تبعَهمُ المسلمون كالسيل الجارفِ ، فجعل الذين تسلسلوا بالحديدِ ، وقُيِّدَ بعضُهم ببعضٍ إذا سقط واحدٌ منهم سقط الذين معه ، وكان هذا من فضلِ اللهِ تعالى على عبادهِ المؤمنين ، ومن حسنِ حظِهم أن طبيعة الأرضِ كانت عاملاً مساعداً جداً لهم .

حتى لقد روى الطبريُّ أنه سقط يومئذٍ في وادي اليرموك من الرومِ مئةُ ألفٍ وعشرون ألفاً سِوى مَنْ قُتِلَ في المعركــــة بينما قُتِلَ من المسلمين ثلاثةُ آلافٍ منهم كما قال ، عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ ، وسلمةُ بنُ هشامٍ ، وعمرو بنُ سعيدٍ ، وأبانُ بـــن سعيدٍ ، وضرارُ بنُ الأزورِ ، وهشامُ بنُ العاص ، وعمروُ بـــنُ الطفيلِ بنِ عمروٍ الدَّوسيُّ .

واختلفتِ الرواياتُ حولَ خالد بـــنِ ســـعيدٍ ، فقيـــل استشهِدَ يومئذٍ ، وقيل أثبتتهُ الجراحُ فلا يعلم أحدٌ عنه أيـــن ذهب ، وقيل : إن الذي قُتِلَ يومئذٍ ابنُهُ أما هو فقد قُتِـــلَ في معركةِ مرجِ الصفّر كما تقدم واللهُ أعلم .

ورويَ أن عمروَ بنَ العاصي هرب يومئذٍ ومعه أربعـــةٌ حتى وصلوا إلى النساءِ في مؤخرةِ الجيشِ ثم رجعـــوا خجـــلاً منهنَّ حين زجرْنهم .

وانكشف شُرَحبيلُ بنُ حسنةَ وأصحابُهُ ، ثم رجعـــوا إلى أرضِ المعركةِ حين سمعوا الأميرَ يُعظُـــهُم ويقـــول : ﴿ إنَّ اللهَ اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنةَ يقـــاتلون في

سبيلِ الله فيقتُلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآن ومَنْ أوفى بعهدِه من الله فاستبشروا ببيعكُمُ الـــــذي بايعتم به وذلك هو الفوزُ العظيمُ﴾ [1] .

واستُشهِدَ يومئذٍ جرجه رضي الله عنه وهو الذي لم يُصلِّ لله تعالى سوى تلكمُ الركعتين اللتين صلاهُما مع خالدٍ رضي الله عنه في خيمتِهِ .

نتائجها :

وقُتِلَ يومئذٍ أكثرُ من ثلثي جيشِ الرومِ ، ومنهم قادتُـهم وخيرةُ فرسانهم ، كما قُتِلَ تدارقُ أو تيودوريك. أخو هرقلَ ، وكان القائد العامّ للجيشِ الروماني .

وما ذكرَهُ بعضُهم من أن جرجـــه حين أسلم على يـــدِ خالدٍ رضي الله عنه غادر خيمةَ خالدٍ ، وذهب إلى جيشِـــهِ الرومـــاني فأخذ يخوفُهم ، ويثبطُ همَمهم ويقولُ لهم إن جيشَ المســـلمين كبيرٌ جداً يفوقُ عددَ الرومِ الأمرُ الـــذي أوقـــع في قلوبهـــمُ الرعبَ، فكانت هذه الدعايةُ سبباً لهزيمتهم ونصر المسلمين .

---

[1] الآية ١١١ من سورة التوبة .

هذا كلامٌ غيرُ صحيحٍ ولم يذكرْهُ أحدٌ ، ولم يـــرِدْ في أي مصدرٍ تاريخيٍّ موثوقٍ ، إنما هو من وضع بعضِ المستشـــوقين أو الناقمين على الإسلام والمسلمين ، للتشكيكِ بكفاءةِ القيـــادة الإسلاميةِ ، وعدمِ استطاعةِ المسلمين الصمودَ أمام الرومِ فضلاً عنِ الانتصارِ عليهم ، لولا خيانةُ جرجه، وتزييـــفُ الحقـــائقِ حول عددِ جيشِ المسلمين، كما يزعمون .

وقد علمنا كما تقدم أن جرجه رحمه الله تعالى لم يذهَـــبْ إلى الرومِ بعد لقائِهِ مع خالدٍ وإسلامِهِ ، بل ولم يغادرْ خيمـــةَ خالدٍ، وفوجئَ بتجديد القتالِ بين الطرفين ولم يكنْ له علـــمٌ بذلك ، ثم خرج يقاتلُ مع خالدٍ جنباً إلى جنبٍ حتى قُتِلَ رحمه الله تعالى ورضي عنه وأدخله فسيحَ جناتِهِ ، فمِنْ أين ذهب إلى قومِهِ .. ؟ وكيف وصل إليهم ونقل لهم معلومـــاتٍ مزيفـــةً ومغلوطةً ..؟

سبحانك .. هذا بهتانٌ عظيمٌ .

﴿كَبُـرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواهِهـم إن يقولـون إلاّ كـذباً ﴾ [1]

كنا طحٍ صخرةً يوماً ليوهنَها فلم يضُرْها وأوهي قرنَهُ الـوعلُ

مطاردةُ الرومِ :

أنزل اللهُ عز وجل نصرَهُ على عباده ، وفتـح عليـهم ونصرهم على عدوهم ، فكان نصراً مؤزَّراً ، وفتحاً عظيمـاً ، وأذلَّ اللهُ الرومَ ، وكسَرَ شوكتَهم ، وقضى على غطرستِهم ، وأوقع فيهم شرَّ هزيمةٍ ، وسقطوا في وادي الـيرموك كتـلاً متراكمةً، وهُمُ الذين اختاروا تلك البقعةَ وجعلوهـا موقعـاً عسكرياً لهم ، ثم لتتحولَ إلى مقبرةٍ أبديةٍ لهم بتقديرٍ مـن اللهِ العزيزِ الحكيم .

وهَرَبَ مَنْ هَرَبَ منهم على غيرِ هدىً طالباً النجـاةَ ، فتبعهم خالدٌ ﷺ بجنودِه البواسِلِ حتى وصـل إلى دمشـقَ ، فخرج إليه أهلُها وقالوا : نحنُ على عهدِنا وصلحِنا ..؟

(1) الآية ٥ من سورة الكهف .

قال : نعم .

ثم لحق بهم إلى ثنيةِ العقابِ فقتل منهم عدداً كبيراً ، وهم لا يزالون فارّين أمامَهُ كالإبلِ الشاردةِ في الليلةِ المطيرةِ حتى انتهوا إلى حمصَ والمسلمون في آثارِهِم يقتلون ويأسرون ويغنمون ، وكان مِلكَهُم هرقلُ في حمصَ، فغادرها وارتحل عنها، وجعلها بينه وبين المسلمين ، وقال أما الشامُ فلا شلمَ ، وويلٌ للرومِ من المولودِ المشؤومِ.

ثم انتهى به المطافُ إلى أنطاكية حيثُ استقرَّ فيها ، ثم جمع جنودَهُ وفرسانَهُ ومستشاريه ، وأخذ يلومُهم على تخاذلِهم، ويوبخُهم على فرارِهم أمام المسلمين مع الفارقِ الكبيرِ في العددِ والعدةِ والاستعدادِ والتسليحِ.

فقال لهم : ويلكم ، أخبروني عن هؤلاءِ القومِ الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشراً مثلكم ..؟

قالوا : بلى .

قال : فأنتم أكثرُ أم هم ..؟

قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كلِ موطِنٍ .

قال : فما بالُكم تنهزمون ..؟

قالوا : من أجلِ أنهم يقومون الليلَ ، ويصومون النهارَ ، ويوفون بالعهدِ ، ويأمرون بالمعروفِ ، وينهون عنِ المنكـــرِ ، ويتناصفون بينهم .

ومن أجلِ أنا نشربُ الخمرَ ، ونزني ، ونركبُ الحـــرامَ ، وننقضُ العهدَ ، ونغصبُ ونظلمُ ، ونأمرُ بالسخطِ ، ونـــنهى عمّا يُرضي الله ونفسدُ في الأرضِ .

فقال هرقلُ : أما أنتَ فقد صدقتَني .

ولقد صدق ذلك الروماني ، فقد عرف تماماً صفـــات المسلمين ومعاملاتِهم وأخلاقَهم وسلوكهم ، وعبَّرَ عنها تعبيراً صادقاً ، وكأنه يعيشُ معهم ويعاملُهم وكأنه فردٌ منهم يعلـــمُ عنهم كلَّ شيءٍ .

ما قيل في يومِ اليرموكِ من الشعرِ :

ولقد خلَّدَ الشعراءُ معركـــةَ الــيرموكِ ، وذكروهـــا بأشعارِهم لتبقى خالدةً تشهدُ بعظمةِ الإســـلامِ والمســـلمين ،

وصدقِ الرجالِ الذين صدقـــوا مـــا عـــاهدوا اللهَ عليـــه ، وإخلاصِهِم في الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، وتفانيهم في الدفاعِ عـــن عقيدتِهِم ومقدساتِهم ؟

ولقد تسابق الشعراءُ في ذلك ، نذكرُ منهم :

١- القعقاعَ بنَ عمروٍ ﷺ الذي قال يومئذٍ :

ألـم ترَنـا علـى اليرموكِ فُزنـا	كمـا فُزنـا بأيـامِ العـراقِ
وعـذراءَ المدائـنِ قـد فتحنـا	ومرجَ الصفْرِ الذهـب العتـاقِ
فتحنـا قبلـها بصـرى وكـانَتْ	محرمةَ الجنابِ لـدى النعـاقِ
قتلنـا مَـنْ أقـام لنـا وفينـا	نهابـهمُ بأسـيافٍ رقـاقِ
قتلنـا الـرومَ حتـى مـا تسـاوى	على اليرموكِ معـروقُ الـوراقِ
فضَضنا جمعَهم لمّا اسـتجالوا	على الواقـوص بـالبتر الرقـاقِ
غـداة تـهافتوا فيـها فصـاروا	إلـى أمـرٍ يعضّـلُ بـالذواقِ

وقال الأسودُ بنُ مقرنٍ التميميُّ :

وكم قد أغرنا غارةً بعـد غـارةٍ	يوماً ويومـاً قـد كشـفنا أهاولَـهُ
ولولا رجالٌ كان عشـوَ عنيمـةٍ	لدى مـأقطٍ رَجَـتْ علينـا أوائلُـهُ

لقيناهُمُ اليرموكَ لما تضايقَتْ بمَنْ حلّ باليرموكِ منهُ حمائلُهْ

فلا يعد من منا هرقل كتائبا إذا راقها رام الذي لا يحاوله

وقال عمرو بن العاص :

القوم لخم وجذام في الحرب ونحن والروم بمرج نضطرب

فإن يعودوا فيها لا نصطحب بل نعصب الفرار بالضرب الكرب

الخاتمة :

وصدقوا فيما قالوا ، فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم عدو ، ولا يقف أمامهم فواق ناقة عند اللقاء ، ولقد قال رسول الله ﷺ : نصرت بالرعب مسيرة شهر .. الحديث، فهو مؤيد بتأييد الله تعالى ، ومقلد بنصره ، ومحفوظ بحفظ الله ورعايته وهو الذي خاطبه الله تبارك وتعالى بقوله : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ [1]

---

[1] الآية ٤٨ من سورة الطور .

وكذلك أصحابُهُ ﷺ وأرضاهم الذين تبعـــوا ســنّتهُ ، واقتفوا آثارَهُ ، وأحيَوا طريقَتهُ ، ففازوا برضوانِ الله تعـــالى ، ونالوا نصرَهُ وتأييدَهُ مصداقاً لقولِ الحقِ تبارك وتعالى :

﴿ولقد سبقَتْ كلمتُنا لعبادِنا المرسَـــلين ، إنهـــم لهُـــمُ المنصورون، وإن جُندَنا لَهُمُ الغالبون ﴾ [1]

﴿إنا لننصرُ رسلَنا والذين آمنوا في الحياةِ الدنيا ويومَ يقــومُ الأشهادُ ﴾ [2]﴿ وعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعمِلوا الصالحاتِ ليستخلِفنَّهم في الأرضِ كما استخلَفَ الذيــــنَ مـــن قبلِـــهِم وليمكِنَنَّ لهم دينَهُمُ الذي ارتضى لهم وليبَدِلَنَّهم مـــــن بعـــدِ خوفِهِم أمناً ﴾[3].

﴿ ولقد كتبنا في الزبورِ من بعدِ الذكرِ أنّ الأرضَ يرثُـــــها عباديَ الصالحون ﴾ [4]

---

[1] الآيات ١٧١ ــ ١٧٣ من سورة الصافات .

[2] الآية ٥١ من سورة غافر

[3] الآية ٥٥ من سورة النور

[4] الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء .

وفي ذلك يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ :

﴿إذا هَلَكَ قيصرُ، فلا قيصرَ بعدَهُ ، وإذا هلك كســـــرى ، فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيدِهِ لتُنفُقَنَّ كنوزُهما في سبيلِ اللهِ﴾.

أو كما قال ، ولقد صدق رسولُ اللهِ ﷺ فلقد حدث كمــا قال وهو الصادقُ المصدوقُ الذي لا ينطقُ عنِ الهوى . إن هو إلا وحيٌّ يوحى .

تمتِ الرسالة والحمد لله رب العالمين
وإلى اللقاء مع معركةٍ إسلاميةٍ خالدةٍ أخرى

الفهرس

الموضـوع	رقم الصفحة
معركة اليرموك	٣
موقعها	٣
زمانها	٣
أسبابها	٦
التمهيد لمعركة اليرموك	١٢
أبو بكر الصديق وتسييرُ جيش أسامة	١٦
النتيجة	٢٠
أبو بكر يرسل أمراء الجيوش	٢٣
خطبة أبي بكر بالجيوش	٢٩
استدعاء خالد من العراق إلى الشام	٣٤
خالد يتوجه إلى الشام	٣٧
وصول خالد إلى الشام وتوليه القيادة	٤٠
استعداد الجيش الإسلامي	٤٢
استعداد الجيش الروماني	٤٥
عيون الروم عند المسلمين	٤٦
أحداث معركة اليرموك	٤٨
اللقاء	٤٨

أقوال صادقة في الحث على القتال	٥٠
المبارزة	٥٦
بدء القتال	٥٧
صور من بطولات الصحابة	٥٩
١ ـــ المقداد بن الاسود	٥٩
٢ ـــ الزبير بن العوام	٦١
٣ ـــ عكرمة بن أبي جهل	٦٣
٤ ـــ رجل مجهول	٦٤
٥ ـــ معاذ بن جبل	٦٥
لوحة صادقة	٧٠
وفاة الصديق وعزل خالد	٧٢
سبب عزل خالد عن إمرة الجيش	٧٦
خالد وجرجه	٨٠
بدء القتال مرة أخرى	٨٣
نتائجها	٨٦
مطاردة الروم	٨٨
ماقيل في يوم اليرموك من الشعر	٩٠
الخاتمة	٩٢
الفهرس	٩٥

معارك عربية خالدة

٩

مَعركةُ الجِسرِ

إعداد

عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الأولى

1421 - 1420 هـ- 2000 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

البريد الالكتروني: E-mail : qalam_arabi@naseej.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(معركةُ الجسرِ)

وقَعَتْ معركةُ الجسرِ بين المسلمين و الفرسِ فـي شهرِ شعبانَ سنةَ ثلاثَ عشرةَ من هجرةِ النبي صلى الله عليه و سلم ، في عهدِ الخليفةِ الراشدي الثاني ، عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه .

فقد كان الخليفةُ الأولُ أبو بكرٍ الصديقُ رضي اللهُ عنه قدِ امتثلَ أمرَ اللهِ تباركَ و تعالى الذي يتضمَّنُ الأمرَ بقتالِ مَـنْ يلي دولةَ الإسلامِ ، و ذلك بقولِهِ تعالـى : **(يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذين يلونكم مِـنَ الكفـارِ ولْيجدِوا فيكم غلظةً و اعلموا أنَّ اللهَ مع المتقين)** (١)
و بقولِهِ تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنـون بـالله و لا باليومِ الآخرِ و لا يحرمون ماَ حرَّم اللهُ و رسـولُهُ و لا يَدينون ديـنَ الحق مِنَ الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا**

---
(١)الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

الجزيةَ عنْ يدٍ و هُمْ صاغرون) [1] صدق الله العظيم .

و المرادُ من الآيتينِ الكريمتيـــنِ الأمـــرُ بقتـــالِ الفرسِ و الرومِ ، فهما الدولتان العُظميان اللتان تتقاسمان السيادةَ في الأرض ، و تشكلان القوة الضاربة فيـــها ، كما أنهما تحتلان الأرضَ العربيةَ ، و تجـــاوران دولـــةَ الإسلامِ .

فالرومُ أهلُ كتابٍ و هُمُ الذين يجاورون المسلمين من جهةِ الشمالِ في أرضِ الشام ، و هُمُ الذين عناهُمُ اللهُ تعالى بقولِهِ : **(و لا يَدينون دينَ الحق من الذين أوتـوا الكتابَ)** .... الآية ، وبقولِهِ : **(قاتلوا الذين يلونكـــم من الكفارِ)** ... الآية و الفرسُ وثنيون يعبدون النارَ ، و هُمُ الذين يجاورون المسلمين من جهةِ الشرقِ والشمالِ الشرقي من أرضِ العراقِ ، و هُـــمُ الذيـــن عنـــاهُمُ اللهُ تباركَ و تعالى بقولِهِ : **(قاتلوا الذين يلونكم من الكفارِ) (و لْيجدوا فيكم غلظةً)** و يَحسُنُ بنا فـــي هذه المناسبة أن نحددَ معنى الغلظةِ الواردةِ فـــي الآية الكريمةِ ، إنها

---

(١)الآية ٢٩ من سورة التوبة .

ليستِ الغلظةَ المطلقةَ ، من كلِ قيدٍ و أدبٍ ٠٠٠!!
إنها ليستِ الغلظةَ الظالمةَ و الغاشمةَ ٠٠٠!!
إنها ليستِ الغلظةَ القاسيةَ و الوحشيةَ ٠٠٠!!
إنها ليستِ الغلظةَ المجردةَ من الرحمةِ والإنسانيةِ٠٠٠!!
بل إنها الغلظةُ على الذيـــن مـــن شـــأنِهم أن يحـــاربوا المسلمين و يعتدوا عليهم في بلادِهم .
إنها الغلظةُ على الذين يشـــكلون خطـــراً علـــى أمـــنِ المسلمين .
إنها الغلظةُ فـــي الدفـــاعِ عـــن الديـــنِ ، و الأنفـــسِ ، والأعراضِ و الأموالِ .
إنها الغلظةُ على أعداءِ هذا الدينِ و أهلِهِ ، و في الـــتزامِ أحكامِ الجهادِ و آدابِهِ ، و في حدودِ الآداب العامةِ لـــهذا الدينِ الإسلامي العظيم ، تلك الآدابُ التـــي وَرَدَتْ فـــي القرآن الكريم ، ووصايا رســـولِ اللهِ صلـــى الله عليـــه وسلم، و خلفائهِ الراشدين .

(آدابُ الجهاد في)
(الإسلام)

أولاً : آدابُ الجهادِ في القرآن .

وَرَدَتْ في القرآنِ الكريمِ آياتٌ كثــيرةٌ تتضمــنُ أحكامَ الجهادِ ، و تبينُ آدابَهُ و الحكمةَ منه كقولهِ تعالى: **(وقاتلوا في سبيلِ اللهِ الذين يقاتلونكم و لا تعتــدوا إنَّ اللهَ لا يحبُّ المعتدين . و اقتلوهــم حيــثُ ثقفتموهــم وأخرجوهم مِنْ حيثُ أخرجوكم و الفتنةُ أشدُّ من القتــلِ و لا تقاتلوهم عند المسجدِ الحرامِ حتى يقــاتلوكم فيــه فإن قاتلوكم فاقْتلوهم كذلك جزاءُ الكافرين . فإنِ انتهوا فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ . و قاتلوهم حتى لا تكــونَ فتنــةٌ ويكونَ الدينُ للهِ فإنِ انتــهوا فــلا عــدوانَ إلاّ علــى الظالمين . الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرامِ و الحرمــاتُ قصاصٌ فمنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليــه بمثــلِ مــا**

اعتـــدى عليكـــم و اتقـــوا اللهَ و اعلمـــوا أنّ اللهَ مـــع المتقين)[1] صدق الله العظيم .

فهذه الآياتُ الكريمةُ تحملُ بعضَ آدابِ القتـــالِ ، وهي قتالُ مَنْ قاتَلَهم أوِ اعتدى عليـــهم ، و قتـــالُ مـــن يقاتلُهم في أي وقتٍ أو في أي مكانٍ ، و لكـــــن بـــدونِ اعتداءٍ . (و قاتلوا في سبيلِ اللهِ الذيـــن يقـــاتلونكم و لا تعتدوا إنَّ اللهَ لا يحبُّ المعتدين .) إنه إذن القتالُ فــــي سبيلِ اللهِ دفاعاً عن الأنفسِ و الدينِ و الأرض والعرضِ و المالِ .

يقولُ أحدُ الباحثين الإسلاميين :

(إنه القتالُ للهِ ، لا لأي هدفٍ آخرَ من الأهدافِ التـــــي عرفتها البشريةُ في حروبِها الطويلةِ ، القتالُ في ســـبيلِ اللهِ ، لا في سبيلِ الأمجادِ و الاستعلاءِ في الأرضِ ، ولا فـــي سبيلِ المغانمِ و المكاسبِ ، و لا في سبيلِ الأسواقِ والخاماتِ ، و لا في سبيلِ تسويدِ طبقةٍ على طبقـــةٍ ، أو جنسٍ على جنسٍ ، إنما هو القتالُ لتلك الأهدافِ المحددةِ

---

(١)الآيات ١٩٠-١٩٤ من سورة البقرة .

التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام . القتال لإعــلاء كلمة الله في الأرض ، و إقرار منهجــه فــي الحيــاة ، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم ، أو أن يجرفهم الضلال و الفساد ، و ما عدا هذه فــهي حــرب غــير مشروعة في حكم الإسلام ، و ليس لمن يخوضها أجــر عند الله و لا مقـــام . (و لا تعتــدوا إن الله لا يحــب المعتدين .) و العــدوان يكــون بتجــاوز المحــاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين و المســـالمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية ، كالنساء و الأطفال و الشيوخ و العباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة و دين .

كما يكون بتجاوز آداب القتـــال التـــي شــرعها الإسلام ، ووضع بها حداً للشناعات التي عرفتها حروب الجاهليات الغابرة و الحاضرة علــــى الســـواء ، تلــك الشناعات التي ينفر منها حس الإسلام ، و تأباها تقــوى الإسلام) .

و كقوله تعالى : (أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله) (١)

فهاتان الآيتان أول ما نزل من القرآن بالإذن في القتال ، و كانوا من قبل قد مُنعوا عنه في مكة لحكمة يريدها الله عز و جل رأفة بهم ، و شفقة عليهم حيث كانوا يومئذ قلة . و هم الذين كانوا يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال فيقول لهم : اصبروا ، فإني لم أومرْ بقتال.

و هم الذين قالوا له يوم العقبة : و الله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا .فيجيبهم الرسول صلى الله عليه و سلم بقوله : لم نؤمَرْ بذلك ، ذلك أن القتال في تلك الفترة كان محرَّماً عليهم بنص قوله تعالى : **(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفُّوا أيديكم وأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة)** (٢) .

---

(١)الآيتان ٣٩–٤٠ من سورة الحج .

(٢)الآية ٧٧ من سورة النساء .

فلما هاجروا إلى المدينة ، و أصبح لهم جيشٌ و دولة ، و عَدَد و عدَةٌ بحيث يستطيعون مواجهةَ العـــدوان وردَّه والتصدي له ، نزل عليهم الإذن بالقتال بقوله تعالى :

(أُذِنَ للذين يقــاتَلون بأنـــهم ظُلمــوا و إن الله علـــى نصرهم لقدير . الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حــق إلا أن يقولوا ربُّنا الله ..) الآية .

فعلم المؤمنون بأن هذا الإذن هو مقدمة لفرض الجـــهاد عليهم ، و للتمكين لهم في الأرض ، كما وعدهم الحــقُّ تبارك و تعالى بقوله : **(و إن الله على نصرهم لقدير)** و وعده حق و صدق ، و ثابت لا يتبدل و لا يتغير .

ثانيا : في السنة النبوية المطهرة .

١- عن بريدة رضي الله عنه قال : كـــان رســـول الله صلى الله عليه و سلم إذا أمّر الأمير علـــــى جيـــش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى و مَنْ معه من المسلمين خيراً ، ثم قال :

(اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا مَنْ كفـــر بالله

اغزوا و لا تغلُّوا[1] ، و لا تغدروا ، و لا تمثلـــوا ، ولا تقتلوا وليداً ، فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال [2] ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكفَّ عنـــهم و ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، و كفَّ عنهم ، ثم ادعهم إلى التحـــوّل مـــن دارهـــم إلـــى دار المهاجرين ، و أخبرهم أنهم إن فعلوا ذلـــك فلـــهم مـــا للمهاجرين ، و عليهم ما عليهم ، فإن أبوا أن يتحولـــوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المســلمين يجـــري عليهم حكم الله تعالى الذي يجري على المؤمنين ، و لا يكون لهم من الغنيمة و الفيء شيء ، إلا أن يجـــاهدوا مع المسلمين . و إن هم أبوا ، فسلهم الجزية ، فإن هـــم أجابوك فاقبل منهم ، و كفَّ عنهم ، فإن أبوا ، فاســتعِنْ بالله تعالى عليهم و قاتلهم) [3] .

٢- و عن رجل من جُهينةَ : أن رسول الله صلـــى الله عليه و سلم قال :

---

(١)الغلول : السرقة . (٢) الخلال : الخصال ، و الواحدة : خلة .

(٣)رواه مسلم و أبو داود و الترمذي .

(لعلكم تقاتلون قومـــا فتظـــهرون عليـــهم فيتَّقونكـــم بأموالهم دون أنفسهم و ذراريهم ، فيصالحونكم علـــى صلح ، فلا تصيبوا منهم فوق ذلك ، فإنـــه لا يصلـــح لكم)[1] .

٣- و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : **(وُجِـــدتْ امرأة مقتولة في بعض المغازي ، فنـــهى رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء و الصبيان)** [2]

٤- و عن العرباض بن سارية قال : نزلنا مع رســـول الله صلى الله عليه وسلم قلعة خيبر ، و معه مَنْ معه من المسلمين ، و كان صاحبُ خيبر رجلاً مارداً متكـــبراً ، فأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمَّـــدُ ، لكم أن تذبحوا حُمَرنا ، و تأكلوا ثمرَنـــــا ، و تضربـــوا نساءنا .

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم و قـــال : يا ابن عوف ، اركب فرسك ، ثم ناد :إن الجنة لا تحـــل إلا لمؤمن . و أن اجتمعوا للصلاة .

---

(١)رواه أبو داود . (٢)رواه الشيخان .

فاجتمعوا ، ثم صلى بهم ، ثم قام فقال : أيحسب أحدكم متّكئاً على أريكته ، قد يظن أن الله تعالى لم يحرّمْ شيئاً إلا ما في القرآن ...! ألا و إني قد وعظتُ و أمرت ونهيت عن أشياءَ ، إنها لمثلَ القرآن أو أكثر ، و إن الله لم يُحِلّ لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، و لا ضربَ نسائهم ، و لا أكل ثمارهم ، إذا أعطَوا الذي عليهم .

و بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من بعض الغزوات ، رُفع إليه أن صِبْيةً قُتلوا بين الصفوف ، فحزن عليهم حزناً شديداً . فقال بعضهم : ما يحزنك يا رسول الله ، وهم صبية للمشركين . فغضب النبي صلى الله عليه وسلم و قال : إن هؤلاء خير منكم ، إنهم على الفطرة ، أو لستم أبناء المشركين، فإياكم و قتل الأولاد ، إياكم و قتل الأولاد .

ثالثا : في العهد الراشدي

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يوصي قادة جنده بآداب الجهاد ، و عدم الاعتداء

على العزّلِ من السلاحِ كالنساءِ و الصبيانِ و الشيوخِ ، ويقولُ لهم : **(ستجدون قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسَهم للهِ ، فدعوهم و ما حبسوا أنفُسَهم له ، و لا تقتلوا امرأةً ، ولا صبياً ، و لا كبيراً هرماً)** (١)

و كذلك كان يفعلُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه ملتزماً آداب الجهادِ في الإسلام ، و متَّبعاً سنةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، و مطبّقاً وصاياهُ . فكان يقولُ لأمراءِ جندِهِ : لا تغلّوا ، و لا تغدروا ، و لا تقتلوا وليداً، و اتقوا اللهَ في الفلاحين .

و من وصاياه رضي الله عنه : (و لا تقتلوا هَرِماً ، و لا امرأةً ، و لا وليداً ، و توقَّوا قتلَهم إذا التقى الزحفان ، و عند شّنِ الغاراتِ)

تلكم هي آدابُ الإسلامِ في الجهادِ ، و تلكم هي أحكامُهُ ووصاياه ، أدبٌ عظيمٌ ، و خُلُقٌ كريمٌ ، و رحمةٌ واسعةٌ، ووصايا نبيلةٌ تشملُ الجميعَ ، و تغمرُ الأعداءَ ، و تحوطُهم بنظرةٍ إنسانيةٍ رحيمةٍ لم توجدْ ، و لن توجَدَ

---

(١)موطأ مالك .

في أي نظامٍ مهما بلغَ من التقدّمِ و التطورِ و الازدهـــارِ والمدنيةِ ، تلك المدنيةُ القائمةُ علـــى الظلـــمِ و القســـوةِ واستغلالِ الشعوبِ الضعيفةِ ، و التسلطِ على رقابِـــها ، والتفريقِ العنصري و العـــرقي بين أبنائِها ، و استخدامِ تطورِها و علومِها لسحقِ الشعوبِ الآمنةِ و المسالمـــةِ ، و الساعيةِ إلى توفيرِ الأمنِ و الراحةِ لأبنائِها ، والقضاءِ على كلِ مظاهرِ التسلّحِ في الأرضِ ، بدعوى أن ذلـــك التسلحَ يشكلُ خطراً على السلامِ العالمي ، في حين تبيحُ لنفسِها التصرفَ في دولِ العالمِ كما تشـــاءُ ، و تعتـــبرُ نفسَها وصياً عليها ، و شرطياً يقومُ بحراستِها و مراقبـــةِ أفعالِها و تصرفاتِها ، و لا تقيمُ وزناً للمجتمعِ الدولـــي ، و لا احتراماً للنظامِ العالمي .

فأيٌ تقدمٍ هذا ... !! و أيٌ تحضـــرٍ ، و أيٌ تطـــورٍ ، وأيةُ مدنيةٍ ...؟؟...!!

إنه تطورٌ قـــائمٌ علـــى الوحشـــيةِ و البربريـــةِ والهمجيةِ، لا يعرفُ معنـــى الرحمـــةِ الإنســـانيةِ ، و لا التسامحِ بين بني البشرِ ، و لا يعبأُ بالعدلِ و الإنصـــافِ

والكرامة لدى بني الإنسان ، في حين يتّهمون الإسلام بأنه يدعو إلى الإرهاب و القتل و العدوان ، و ما نظام الجهاد فيه إلا دليل على ذلك .

(**شبهة و الرد عليها**) يقولون : إن القرآن فرضَ الجهاد في الإسلام ، و حرّم النفاق في غير موضع منه ، و مع ذلك فقد حثَّ على إكراه الناس على الدخول في الإيمان ، و هذا تناقض ... الخ يقول الدكتور محمد هيكل : (يرفع المستشرقون و المبشرون عقائرهم صائحين : أرأيتم... هذا محمد يدعو دينُه إلى الحرب و إلى الجهاد في سبيل الله ، أي إلى إكراه الناس بالسيف على الدخول بالإسلام ، أليس هذا التعصّب بعينه ...!

و هذا في حين تنكر المسيحية القتال ، و تمقت الحروب، و تدعو إلى السلام ، و تنادي بالتسامح ، و تربط بين الناس برابطة الإخاء في الله وفي السيد المسيح)[1]

---

(١)حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل .

و هم في دعواهم هذه قد كذبوا على الله مرتين ، إذ تتضمن دعواهم هذه .

أولا : أن الإسلام لا يدعو إلى السلام و التسامح و الإخاء ، و قد كذبوا ، فالمسيحية كالإسلام كلاهما دين الله ، و الإسلام يدعو إلى التسامح و السلام و الإخاء في الله . و لكن إلى أي حد هذا السلام و التسامح والإخاء....؟؟؟ إن الذي يضع الحدَّ لذلك إنما هو الداعي للسلام والتسامح و الإخاء ، هو اللهُ تعالى الرحمن الرحيم السلام.

و تتضمن دعواهم هذه **ثانيا :** أن المسيحية لا تدعو إلى قتال المشركين ، و قد كذبوا ، فالسيد المسيح عليه السلام يقول : لا تظنوا أني جئت لألقيَ سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاما ، بل سيفا ، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد ابنه ، و الابن ضد أبيه .... إلى

أن قال في الحثّ على القتالِ : و مَنْ أضاعَ حياتَهُ من أجلي يجدُها .[1]

تلك فِريةٌ تبعَها غيرُها من فِرىً اصطنعها هؤلاء المستشرقون و المبشرون يكيدون للإسلامِ ، و يحاولون بها تغريرَ ضعافِ العقولِ [2]

و تلك شبهةٌ من شبهاتٍ كثيرةٍ أوردوها لطعنِ الإسلامِ والنيلِ منه ، و هي من الضعفِ بحيثُ تكادُ تتهاوى أمام صدق الإسلام و نزاهته و طهارته و سماحته و دعوته الحارة إلى التسامح والإخاء بين جميع الشعوب .

و الدعوةُ إلى الجهادِ التي جاء بها الإسلامُ ، جاءَتْ بها جميعُ الأديانِ السماويةِ و قد تقدَّمَ نصُّ الإنجيلِ الذي يقولُ فيه السيدُ المسيحُ عليه السلام : (ما

(١)إنجيل متى الإصحاح العاشر . (٢) فلسفة البلاء للدكتور الحسيني ابو فرحة

الإنجيل الذي يقول فيه السيد المسيح عليه السلام : (ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ، إلى أن قال : و من أضاع حياته من أجلي يجدها) ، ففيه الحث على القتال والاستشهاد في سبيل الله ، و هو بمعنى قوله تعالى : **(ولا تحسبَنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون)** [1]

---

(١)الآية ١٦٩ من سورة آل عمران

و جاء في التوراة :

(حين تقرب من مدينة لكي تحاربـّها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح و فتحتْ لك فكلُّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، و يستعبد لك ، و إن لم تسالمْك بل عملت معك حرباً فحاصرْها ، و إذا دفعها الرب إلهُك إلى يدك ، فاضربْ جميعَ ذكورِها بحد السيف .

و أما النساء و الأطفال و البهائم و كلُّ ما في المدينة فتغنمها لنفسك ، و تأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك .

هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، و أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرّمها تحريماً الحثيين و الأموريين والكنعانيين و الغيرزيين و الحوريين و اليبوسيين كما أمرك الربُّ إلهُك) (١)

---

(١)سفر الاستثناء الإصحاح العشرون .

و جاء في الزبور عبارة :

(تقلد أيها الجبار سيفك ، فإن ناموسك و شرائعك مقرونة بهيبة يمينك)

و هكذا نرى أن الإسلام قد شارك الأديان السماوية الأخرى بفريضة الجهاد ، و اختلف معها بأحكامه وآدابه، و امتاز عنها .

أولاً : بالرحمة ، و عدم العدوان أو التمثيل ، ورفع عذاب الاستئصال .

ثانياً : بأن جعل الحرب إنسانية بحتة .

ثالثاً : بأنه استهدف من وراء الحرب نشر الإسلام لصلاح الإنسانية .و خيرها و سعادتها وسلامتها، و لا يتأتى ذلك إلا بالسيطرة الكاملة على ربوع البلد المدعوِّ أهلّه إلى الإسلام .

هذا ... و سيأتي مزيد إيضاح لهذا البحث في رسالة قادمة ضمن هذه المجموعة من (معارك خالدة) إن شاء الله تعالى .

(التمهيدُ لمعركةِ الجسرِ)

لم تقعْ معركةُ الجسرِ بشكلٍ مفاجئٍ مـــن غـــيرِ تمهيدٍ أو مقدماتٍ ، و لم تكنْ عفويةً بلا سببٍ ، بل كان لها أسبابٌ عديدةٌ ، و سبقها معاركَ كثيرةٌ مهَّدَتْ لــــها ، وكانتِ السببَ لوقوعِها ، فمن أسبابِها .

أولاً : امتثالُ الخليفةِ أبي بكرٍ الصديقِ رضـي اللهُ عنه قولَ اللهِ تبارك و تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ... الآية) كما تقدم بيانُ ذلك، و الذين يلون المسلمين ، أي يجاورونهم هُـــمُ الفـــرسُ والروم .

أمّا الرومُ فقد تقدم الحديثُ عنـــهم فـــي معركـــةِ اليرموكِ السابقةِ ، و أمّا الفرسُ فهمُ الذين سيكونُ محورُ الحديثِ يدورُ حولهم بإذنِ اللهِ تعـــالى بذكـــرِ مقدمـــاتِ معركةِ الجسرِ إلى ذكرِ أحداثِها و الوقوفِ على تفاصيلِها إن شاء اللهُ تعالى .

ثانيا : تحقيق حلم النبي صلى الله عليه و سلم بتحرير كافة الأرض العربية من الاحتلال الروماني والفارسي ، و تخليص عرب العراق و الشام من استعمارهما و استغلالهما كما تقدّم بيانه في معركة اليرموك .

ثالثا : تطهير البلاد العربية من مظاهر الشرك والوثنية و المجوسية لنشر تعاليم الإسلام و عدالته وسماحته ، و ذلك لا يتحقق إلا بإعلان الحرب ، والدعوة إلى جهاد أهل الشرك و الوثنية .

رابعاً : ضمان الأمن و الأمان ، و السلام والاستقرار لبلاد المسلمين و توفير الراحة و الاطمئنان لجميع أفراد المسلمين و رعايا الدولة الإسلامية من أهل الذمة و غيرهم .

(حكمُ الحبشةِ في اليمنِ)

كان اليمنُ يخضعُ لحكمِ الحبشةِ الذي دام نحـــواً من سبعين سنةً ، و كان أولَ مَنْ قام بالحكمِ فيه رجـــلٌ حبشيٌ يقالُ له : أرياط الذي أرسله النجاشيُّ علـــى رأسِ سبعين ألفاً من جنودِ الحبشةِ و كان فيهم أبرهةُ الأشرمُ .

فركب أرياطُ و جنودُهُ السفنَ و مضى يخـــترقُ البحرَ حتى نزل بساحلِ اليمنِ فانتزعها من ذي نُـــواسِ وكان يهودياً ظالماً غاشماً ، و هو الذي خـــدَّ الأخـــاديدَ وأوقدَها ناراً أحرق فيها عشرين ألفاً مـــن النصـــارى ، وهو الذي قال اللهُ تعالى فيه : (**قُتِلَ أصحابُ الأخدودِ . النارِ ذاتِ الوَقودِ . إذ هم عليها قعودٌ . وهم على مـــا يفعلون بالمؤمنين شهود**) [١] إلى آخرِ الآياتِ .

منذ ذلك الوقتِ خضع اليمنُ لحكمِ أريـــاطَ مـــن الحبشةِ ، ثـــم نازعه أبرهةُ الحبشيُّ على الحكمِ و اشتدَّ

---

(١)الآيات ٤-٧ من سورة البروج .

الخلافُ بينهما ، و تفرق أمرُ الحبشة فمنهم مَنْ نــاصرَ أبرهةَ و منهم مَنْ ناصرَ أرياطَ .

فلما اشتدَّ الخلافُ بينهما ، و بلغ الصراعُ ذروتَهُ جاء رسولُ أبرهةَ ليبلغَ أرياطَ أن صاحبهُ يكرهُ الاقتتالَ، و لا يميلُ إلى سفكِ الدماءِ ، و يقترحْ عــليه المبارزة ، فأيهما ظفرَ بصاحبهِ كان الأمرُ إليه .

فرأى أرياطُ في هذا الاقتراحِ إنصافاً ، و رفقــاً بالناسِ ، و حقناً لدماءِ الأبريــاءِ . فــالتقى الخصمــان وتفوقَ أرياطُ على خصمِهِ أبرهـــةَ ، و لكــنَّ الحربــةَ أخطأَتْ مقتله ، و إنما شقَّتْ جبهتَهُ و أنفَــهُ و شــفتَهُ ، ولذلك لُقّبَ (بالأشرمِ) و يسرعُ عبدٌ لأبرهةَ فيضـــربُ أرياطَ فيرديه ، تنفيذاً لخطةٍ مدبــرةٍ مســبقاً . فتجتمــعُ الحبشةُ في اليمنِ على أبرهةَ الذي كان يريدُ أن تســودَ المسيحيةُ أرضَ اليمنِ .

و قد كان أرياطُ طويلاً جميلاً قويــاً ذا سياســةٍ وكيدٍ، و كان أبرهةُ قصيراً بديناً ذا دينٍ و نسكٍ وعبادةٍ، و كذلك كان أصحابَهُ ، لذلك دانَتْ له اليمنُ ، واجتمعَتْ

عليه الحبشةُ ، و استوثقَ له الأمرُ .

فلما مات أبرهةُ بعد فشلِهِ في محاولةٍ يائسةٍ لــهدمِ الكعبةِ المشرفةِ ، و إرسالِ طيرٍ أبابيلَ على جيشِهِ الذي انهزم و انحطم و صار كعصفٍ مأكولٍ ، قــام بــالحكمِ بعده ابنُهُ يكسومُ بنُ أبرهةَ ، ثم خلفه بعد موتِــهِ أخــوه مسروقٌ ، فلما اشتدَّ البلاءُ بأهلِ اليمنِ ، خرج سيفُ بــنُ ذي يزنَ حتى قدِمَ على قيصرَ ملكِ الروم يستنجدُه فــي إخراجِ الحبشةِ من اليمنِ ، فأبى عليه ذلك لما بينه و بين الحبشةِ من الاجتماعِ على دينِ المسيحيةِ .

فوجد نفسَهُ مضطراً أن يلجأَ إلى الفرسِ فهُمُ القوةُ الثانيةُ في الأرضِ ، فذهب مع النعمانِ بنِ المنذرِ ملــكِ الحيرةِ من قِبَلِ كسرى ، فلما دخل عليه سيفٌ ، قال له: أيها الملكُ ، غلَبَتنا على بلادنا الأغربةُ .

قــال كســرى : أيُّ الأغربــةِ ، الحبشــــةُ أمِ السندُ ...؟

قال : بلِ الحبشةُ فجئتك لتنصرَني ، و يكونُ ملكُ بلادي لك .

فقال كسرى بَعُدَتْ بلادُك مع قلةِ خيرها ، فلم أكنْ لأورّطَ جيشاً من فارس بأرضِ العربِ ، لا حاجةَ لي بذلك ، ثم أجازه بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، و خلع عليه كسوةً ثمينةً و نفيسةً ، فجعل سيفٌ ينثرُ دراهمَ كسرى للناسِ ، فبلغ ذلك الملكَ فقال : إن لهذا لشأناً ، فبعث إليه، فقال له : عمِدْتَ إلى حِباءِ[1] الملكِ تنثرُهُ للناسِ...!!

قال : و ما أصنعُ بحباكَ ...؟ ما جبالُ أرضيَ التي جئتُ إلّا ذهبٌ و فضةٌ ، يريدُ بذلك أن يرغَبهُ فيها.

فأشار عليه بعضُ مرازيتِهِ ، فقال له : أيها الملكُ، إن في سجونِكَ رجالاً قد حبستَهم للقتلِ ، فلو أنك بعثتَهم معه ، فإنْ يهلكوا كان الذي أردتَ بهم ، و إن ظفروا كان ملكاً ازدتَّهُ .

فاطمأنَّ كسرى لهذا الرأي فبعث معه مَنْ كان في سجونِهِ ، و جعلهم تحت قيادةِ (وهرز) و كان ذا سنٍ فيهم ، فذهب بهم إلى اليمنِ ، فخرج إليهم مسروقُ بنُ

---

(١)الحباء : المنحةُ و العطاء .

أبرهة الذي لم يستطعِ الصمودَ أمامهم فقتــلَ و هربَــتْ جنودُه و تفرقوا في الأرضِ ، ليتمَّ الأمرُ لسيفِ بــنِ ذي يزنَ الذي ملكَ اليمنَ .

و بذلك يكونُ اليمنُ قد خضع لحكمِ الفرسِ عملياً، و أمّا سيفٌ فكان ملكاً إّلا أنه تابعٌ إدارياً للفرسِ ، شــأن ملوكِ الحيرةِ التابعين إدارياً للفرسِ .

(زوالُ حكمِ الفرسِ)

(من اليمنِ)

هذا ... و بقي اليمنُ خاضعاً لنفوذِ الفــــرسِ ، كلما مات حاكمٌ فارسيٌّ خَلَفَهُ فارسيٌّ آخرُ ، حتى انتــهى الأمرُ لرجلٍ من الفرسِ اسمُهُ باذام ، أو باذان بــالميمِ أوِ النونِ ، و ذلك بعد بعثةِ النبي صلى الله عليه و سلم .

و كانتِ أنباءُ بعثةِ النبي صلى الله عليه و سلم قد بلغَتْ كسرى فكتب إلى عامِلِهِ باذامَ على اليمــنِ : إنــه بلغني أنّ رجلاً مــن العربِ خرج بمكةَ يزعمُ أنه نبيٌّ ، فسِرْ إليه فاستَتِبْهُ ، فإنْ تاب ، و إلا فابعَثْ إليَّ برأسِهِ .

فبعث باذامَ بكتاب كسرى إلى رسولِ الله صلــى الله عليه و سلم :

فلمّا قُرِئَ الكتابُ على النبــي صلــى الله عليــه وسلم، و رأى ما فيــه مــن لهجــةٍ قاســيةٍ و غــرورٍ وغطرسةٍ، كتب يردُّ عليه :

إنَّ اللهَ قد وعدني أن يُقتَلَ كسرى في يــوم كــذا وكذا ... من شهرِ كذا ، فلما قرأ باذامُ الكتابَ وقــف مستغرباً ، فقال : إن كان نبياً فسيكونُ ما قالَ .

و بات باذامُ ينتظرُ اليومَ الذي ذكرهُ النبيُّ صلــى الله عليه و ســلم ، فصدقَتْ نبوءتُهُ و قتل اللهُ كسرى في اليومِ الــذي حدَّده النبيُّ صلى الله عليه و سلم ، و مَزَّق اللهُ ملكَهُ ، فسلَّط عليه ابنَهُ (شيرَوَيهِ) ، و قيــل قتلــه أبناؤه ، و في ذلك يقولُ خالدُ بنُ حقٍ الشيباني :

و كسرى إذ تقــسَّمَهُ بنوهُ   بأسيافٍ كمــا اقتُسِمَ اللحامُ
تمخَّضَتِ المنونُ لــه بيومٍ   ألا و لكــلِ حــاملةٍ تمامُ

و رُوِيَ أنَّ قتلَهُ كان ليلةَ الثلاثاءِ لعشرٍ خلَونَ مِنْ جمادى الأولى سنةَ تسعٍ من الهجرةِ .

و روي أن رسولَ الله صلى الله عليــه و ســلم أرسلَ إلى باذامَ يقولُ له : إنّ ربي قد قتل الليلةَ ربَّــكَ ، و صدق رسولُ الله صلى الله عليه و سلم ، فهو الذي لا ينطقُ عنِ الهوى .

فلما تأكد باذامُ من ذلك أسلم هو و مَنْ معه مـــن الفرسِ في اليمنِ .

و رُوِيَ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه و سلم كتب إلى كسرى يدعوه إلى الإسلامِ ، و ذلــك حيــن كــاتَبَ الملوكَ و الأمراءَ ، يقولُ فيه :

بسم الله الرحمنِ الرحيمِ ، من محمدٍ رســولِ اللهِ إلى كسرى عظيمِ الفرسِ .

سلامٌ على مَنِ اتَّبعَ الهدى .

أما بعد : فأسلِمْ تسلَمْ يؤتِكَ اللهُ أجرَك مرتيــن ، فإن تَولّيتَ فإنما عليك إثمُ المجوسِ .

فلما جاءه الكتابُ قال : ما هذا ...؟

قالوا : هذا كتابٌ جاء من عند رجلٍ بجزيــرةِ العــربِ يزعَمُ أنه نبيٌّ .

فلما فتحه وجد اسم النبي صلى الله عليه و ســلم مكتوباً قبل اسمِهِ فغضب غضباً شديداً ، وأخذ الكتـــابَ فمزقه قبل أن يقرأه ، و كتب إلى عاملِهِ على اليمنِ .

أما بعد : فإذا جاءك كتابي هذا فابعث مِنْ قَبِلِـــكَ أميرين إلى هذا الرجلِ الذي بجزيرةِ العـــربِ ، الـــذي يزعَمُ أنه نبيٌّ ، فابعثْهُ إليَّ في جامعةٍ [١] .

فلما جاء إلى باذام نفَّذَ أمر كســـرى ، و بعــث أميرين عاقلين و قال : اذهبا إلى هذا الرجلِ فانظرا مـــا هو ، فإن كان كاذباً فخذاه في جامعةٍ حتى تذهبا به إلـــى كسرى ، و إن كان غيرَ ذلك فارجعا إليَّ فأخبِراني مـــا هو حتى أنظرَ في أمرهِ .

فلما قَدِما على رسولِ اللهِ صلى الله عليه و ســلم شاهدا منه العجب ، و رأيا أنـــه يدعــو إلـــى مكـــارمِ الأخلاقِ ، ومحاسِنِ الأعمالِ ، و لمسا منه أموراً عجيبـــةً وعظيمةً وسديدةً ، و مكثا عنده شهراً ، و أخبراه بمـــا جاءا به .

فقال لهما : إرجعا إلى صاحبكِما فأخبِراه أنَّ ربي قد قتل الليلةَ ربَّهُ .

ثـــم رجعا إلـــى اليمنِ فأخبرا باذامَ بما قال لهما

---

(١)الجامعة : القيد .

النبيُّ صلى الله عليه و سلم .

فقال لهما باذامُ : احصوا تلك الليلةَ ، فإن ظهر الأمرُ كما قال فهو نبيٌّ . فجاءته الأنباء من المدائنِ أنَّ كسرى قد قُتِلَ في ليلةِ كذا و كذا لتلك الليلةِ التي حدَّدَ النبيُّ صلى الله عليه و سلم .

فدخل الإسلامُ في قلبِ باذامَ ، و أعلن إسلامَهُ ، و بعث إلى النبي صلى الله عليه و سلم يخبُره بإسلامِهِ .

فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه و سلم بولايتِهِ على اليمنِ ، و بقي أميراً عليها حتى مات ، فاستتاب ابنَهُ شهرَينَ باذامَ .

و كان رسولُ الله صلى الله عليه و سلم قد بعث بعضَ أصحابِهِ إلى اليمنِ يدعون أهلَهُ إلى الإسلامِ ، ويعلمونَهمُ القرآنَ ، مثل خالدِ بنِ الوليدِ ، و علي بنِ أبيَ طالبٍ ، و معاذِ بنِ جبلٍ ، و أبي موسى الأشعري ودانَتِ اليمنُ جميُعها للإسلامِ ، و دخل أهلُها في دينِ اللهِ أفواجاً و ذلك كان آخرَ عهدِ الفرسِ في اليمنِ ، و زالت

شمسُهم عنه ، و انقضى حكمُهم له حيــن ســطع نــورُ الإسلامِ على ربوعِهِ ، و تسربتْ هدايةُ الله تعالى إلـــى قلوبِ أهلِهِ ، بدءاً بإسلامِ حاكمِهم باذامَ ، و طرحِ ديــنِ الوثنيةِ و المجوسيةِ ، و الخروجِ مــن عبــادةِ النــارِ ، وطاعةِ كسرى إلــى عبادةِ اللهِ الواحدِ القهارِ و طاعتِهِ ، ومتابعةِ رسولِ الله صلى الله عليه و ســلم ، و العمــل بسنتِهِ و شرعِهِ و الحمدُ للهِ ربِ العالمين ، و ذلك فضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاءَ و اللهُ ذو الفضلِ العظيمِ .

(المثنى بن حارثة و حروبه)

ذكر علماء التاريخ أن المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه كان يقاتل الفرس في العـراق ، فيغـير عليهم بالسواد [1] ، بدون إذن أو تـأمير مـن الخليفـة الصديق ، و هو الذي كان له و لأفراد قبيلته بني شيبان شرف المشاركة في الانتصار العظيم و المشرّف للعرب على جحافل الفرس المتغطرسة في يوم ذي قار التـي تقدم الحديث عنها في رسالة متقدمة و مستقلة .

و كان المثنى بنُ حارثةَ الشيبانيُّ رضي الله عنـه قد قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع قومِـهِ سنةَ تسعٍ ، فأسلموا جميعاً ، و بايعوه على الجهادِ فـي سبيلِ اللهِ .

---

(١)هي أرض العراق و ضياعها ، و سميت سواداً لخضرتـه بـالزروع والأشجار ، و حد السواد من مدينة الموصل طولاً إلى عبـادان ، و مـن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً . انظر التفاصيل في معجـم البلـدان ج٥/ص١٥٩ .

و كان المثنى رجلاً مؤمناً صادقاً ، يتفجّر قـــوة وشجاعة و حيوية ، و كان حبُّه لقتال الفرس والانتصار عليهم ، و طردهم من أرض العراق ، و تحرير قومـــه من استغلالهم و استعبادهم قد ملك قلبَه ، و سيطر علـــى مشاعره و أحاسيسه ، و بات شغلَه الشاغل ، و هاجســه الذي لا يغيب عنه و لا يفارقه ، لذلك رأى المثنى الذي أكرمه الله تعالى بالإسلام أن يقاتل تحت لوائه ، ويتــوّج إيمانَه و قوة يقينه بانتصار ساحق على الفـــرس الذيـــن أخضعوه و قومه تحت ذل القهر و الاحتلال والاســتعباد و الاستغلال .

فجعل يغيرُ عليهم و معه عدد من قومه من الذين أكرمهم الله بالإسلام و الذين لم يتجاوز عددهم ثمانيـــة آلاف مقاتل من بني شيبان و ربيعة ، و مع ذلك كـــان يحقق انتصارات رائعة ، و يلحـــق بـــالفرس خســائر جسيمة، و هزائم منكرة ، الأمر الذي أقلق الفرس ، وأقضّ مضاجعهم ، و جعلهم في دوامة مـــن الخـــوف والقلق .

و مع ذلك لم يحاول المثنى أن يدخلَ مع الفرس في معاركَ كبيرةٍ و حاسمةٍ نظراً لقلة جيشه بالنسبة لجيوش الفرس الكبيرة و الجرارة ، فكان يكتفي بالقيام بهجمات سريعة و مباغتة ريثما تستقر الأمور السياسية في المدينة ، و تتاح الفرصة للخليفة الصديق أن يرسل له مدداً يكون له عوناً للقيام بعمليات عسكرية أكثرَ عنفاً، و أشدّ فاعلية .

و كانت أخبار المثنى و انتصاراته على الفرس تصل إلى المدينة تباعاً ، الأمر الذي جعل المسلمين يستغربون ذلك و يقولون : من هذا الذي تأتينا أخباره ووقائعه قبل معرفة نسبه ...؟ ولعل القائل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقال له قيس بن عاصم : أما إنه غير خامل الذكر ، و لا مجهولُ النسب ، و لا قليل العدد ، و لا ذليل الغارة ، ذلك المثنّى بن حارثة الشيباني .

و روي أن الذي استغرب و تساءل هذا التساؤل هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(قدوم المثنى على أبي بكر)
(الصديق)

لما استبطأ المثنى وصول المدد و العون من الخليفة الصديق رضي الله عنه قرر أن يذهب لمقابلته شخصيا ، و يعرض عليه الأمر مواجهة . فتوجّه إلى المدينة ، فلما اجتمع بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال له : يا خليفة رسول الله ، ابعثني على قومي فإن فيهم إسلاما أقاتل بهم أهل فارس ، وأقتل أهل ناحيتي من العدو .

فاستجاب أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرغبته لما رأى من صدقه و إخلاصه و غيرته لدينه ، وحماسه للقتال في سبيل الله ، و أمده بعدد من المقاتلين الأشداء ، فأخذهم المثنى و رجع إلى العراق مزوّداً بتأييد الخليفة و دعائه و نصائحه ، و مضى يتابع إغاراته و هجماته

الخاطفة ، و ضرباته السريعة و المفاجئة حتـــى أنــزل فيهم هزائم منكرة ، و انتصارات كثيرة .

ثم أراد المثنى رضي الله عنه أن يتوغَّــلَ فـــي أرض الفرس ليحقق انتصاراتٍ أوسعَ فبعث أخـــاه ، أو ابنه مسعود بن المثنى إلى المدينة ليطلبَ مـــن الخليفـــة الصديق أن يمده بعددٍ آخرَ من المقاتلين .

قال في الإصابة : فأمدّه بخالد بن الوليد رضـــي الله عنه ، فكان ذلك ابتداء فتوح العراق . فكتب أبو بكر إلى المثنى بن حارثة يقول له : إني قد وليتُ خالدَ بـــن الوليد فكن معه .

و قد جاء في كتاب الاستيعاب : أن المثنّى بـــن حارثة لما كتب إلى الخليفة أبي بكر يطلب منه المـــدد ، قال له في كتابه : إن أمددْتني ، و سمعت بذلك العـــربُ أسرعوا إليَّ، و أذلَّ الله المشركين ، مع أني أخبِرك يـــا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا و تتّقينا .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله ، ابعثْ خالدَ بنَ الوليد مدداً للمثنّى بنَ حارثة

يكون قريباً من أهل الشام ، فإن استغنى عنه أهلُ الشام، ألحَّ[1] على أهل العراق حتى يفتح الله عليه .

قال : فهذا الذي هاج أبا بكر رضي الله عنه على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق . فكتب إليه أن يمضيَ بجيشه إلى العراق ليتسلّم القيادة العسكرية هناك، وليطهّرَها من مظاهر الشرك والوثنية ، و يحرر الأرض العربية من الاحتلال الفارسي ، كما حرَّر اليمامة من مظاهر الارتداد عن الإسلام ، و الصدِّ عن سبيل الله ، و الكذب و الدجل والافتراء على الله ، وادعاء النبوة كذباً و زيفاً و زوراً و بهتاناً ، **(و من أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أُوحيَ إليَّ و لم يوحَ إليه شيءٌ و من قال سأُنزل مثلَ ما أنزل الله و لو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفُسَكم اليوم تُجزون عذابَ الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون)**[1] صدق الله العظيم .

---

(١)ألح عليهم : قاتلهم حتى ينتصر عليهم .(١)الآية ٩٣ من سورة الأنعام.

(مسيرُ خالدِ بنِ الوليدِ)
(إلى العراقِ)

وصل كتابُ الخليفةِ أبي بكرِ الصديقِ رضـــي الله عنه إلى خالدِ بنِ الوليد و هو في اليمامةِ ، و قد فـــرغ من أمرِ المرتدين أنصارِ مسيلِمةَ الكـــذابِ و غـــيرِه ، يتضمَّنُ الأمرَ بالمسير إلى العـــراقِ لتـــأليفِ النـــاسِ ، ودعوتهمِ إلى اللهِ عز وجل ، فإنْ هم أجـــابوا لـــه فـــهم آمنون ، و إلاّ أُخِذَتْ منهمُ الجزيةُ ، فإنِ امتنعوا عن ذلك فالسيفُ بينه و بينهم .

كما أمَرَهُ أن لا يُكرِهَ أحداً على المســيرِ معـــه ، وأن لا يستعينَ بمنِ ارتدَّ عنِ الإسلامِ ، و إن رجع بعـــد ردّتِهِ . و أن يصحَبَ كلَّ مَنْ أحبَّ أن يذهبَ معه إلـــى القتالِ ، بعد أن زَوَّدَهُ الخليفةُ الصدّيقُ بأعظمِ نصيحـــةٍ ، ألا و هي تقوى اللهِ تعالى التي إنِ التزمَ بـــها المؤمـــنُ

كانت له درعاً واقيةً ، و زاداً وفيراً في رحلة الحياة الشاقّة و البعيدة (**و تزوّدوا فإنّ خير الزادِ التقوى واتقونِ يا أُولي الألباب**) [1] و مضى خالد رضي الله عنه بجيشه مُيمّماً وجهه شطر العراق .

و قد روي أنه انطلق من اليمامة إلى العراق مباشرة ، و قيل : إنه رجع من اليمامة إلى المدينة فتزود بتعليمات الخليفة الصديق ونصائحِه ، ثم توجّه إلى العراق سالكاً طريقَ الكوفة ، و منها استقبله المثنى ابن حارثة ، وانضمّ إليه يقاتل تحت لوائه ، ثم انطلقا معاً إلى الحيرة ، و كانا قد اشتبكا في عدة معارك مع الفرس حتى انتهيا إلى الحيرة ، و معهما الغنائمُ الكثيرة، و الأموال الوفيرة .

و في الحيرة نزل خالد رضي الله عنه ، وأمر جنوده أن يترجّلوا و يضربوا خيامَهم ، فأقبل إليه أشرافها و أمراؤها مع ملكهم قبيصةَ بنِ إياس الطائي

---

(١)الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

الذي ملّكه عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر كما تقدم معنا في رسالة (معركة ذي قار)

فلما التقوا بخالد رضي الله عنه سألوه عن سبب مجيئه إليهم ، فقال لهم : جئنا ندعوكم إلى الله و إلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم مالَهم ، و عليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرصُ على الموت منكم على الحياة ، فجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا و بينكم .

فقال له قبيصة بن إياس و كان هو و قومُه أهلُ الحيرة عرباً يدِيِّنون بالنصرانية : مالنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا و نعطيكم الجزية .

فقال لهم خالد : تبّاً لكم إن الكفر فلاةٌ مُضِلّة ، فأحمقَ العرب مَنْ سلكها . ثم تمّ الصلح بينهما ، وأدّوا لخالد الجزيةَ و كانت مائتي ألف درهم ، قال علماء التاريخ : فكانت أوّلَ جزيةٍ أُخذت من العراق و حُملت إلى المدينة.

و كان ممن قدم مع قبيصة بن إياس إلـــى خـــالد عمرَو بنُ عبد المسيح بن حبان بن بقيلة ، و كان أيضـــاً من نصارى العرب ، فقال له خالد : من أين أثرَك ٠٠٠؟

قال : مِنْ ظهر أبي ٠

قال : و مِنْ أين خرجت ٠٠٠؟

قال : من بطن أمي ٠

قال : ويحك ، على أيِّ شيء أنت ٠٠٠؟

قال : على الأرض ٠

قال : ويحك ، و في أي شيء أنتَ ٠٠٠؟

قال : في ثيابي ٠

قال : ويحك ، تعقلُ ٠٠٠؟

قال : نعم ، و أقيد ٠

قال : إنما أسألك ٠

قال : و أنا أجيبك ٠

قال : أسلم أنت أم حرب ٠٠٠؟

قال : بل سلم ٠

قال : فما هذه الحصونُ التي أرى ٠٠٠؟

قال : بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه .

ثم دعاهم خالد رضي الله عنه إلـــى الإســـلام أو أداء الجزية ، فأجابوا إلى الجزية كما تقدم .

(خالد يراسل ولاة كسرى)
(و نوابه)

و في أرض الحيرة شرعَ خالدٌ رضي الله عنـــــه يراسلُ أمراءَ كسرى و نوابهَ و عماله على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد ، إلى مرازبة فارس ، سلام على من اتبع الهدى . أمـــا بعد :

فالحمد لله الذي فض خدمكم ، و سلب ملككم ، ووهّن[1] كيدكم .

و إن من صلى صلاتنا ، و اســـتقبل قبلتنـــا ، و أكـــل ذبيحتّنا فذلكم المسلم الذي له مالَنا ، و عليه ما علينُا .

فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرُّهن [2] ، واعتقدوا مني الذمة ، و إلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً

---

(١)الوهن : الضعف .

(٢) الرهن : جمع رهينة .

يحبّون الموتَ كما تحبون أنتم الحياةَ ، يجاهدونكم حتـــى يحكم الله بيننا و بينكم .

فلما بلغهم الكتابُ عجبوا من جرأة خالد التي لـــم يسبق لهم أن خاطبهم عربيٌّ بمثلها ، حتى هابوه وخافوا لقاءه قبل أن يروه أو يلتقوا معه بقتال .

و راح خالد رضي الله عنه يخوض معهم معركة بعد معركة ، و يحقّقُ عليهم نصراً بعد نصر ، و يلحق بهم هزيمةً بعد هزيمـــة ، و يغنـــم الغنـــائم ، و يقـــود الأسرى. و يفتح البلاد حتى دانت له معظمُ بلاد فارس ، بعد أن قتل خيرةَ فرسانِهم ، و انتصر على أكبر قادتـــهم و أمرائهم في معاركَ متتابعةٍ ، و جـــولات متلاحقـــة . لايكلّ ، و لا يتعب ، و لا يعيا ، و لا يكره أحـــداً مـــن جيشه على القتال ، و لم يتخلف عنه منهم أحد .

و يتابع البطل ضرباً في الأرض متنقّلاً من نصر إلى نصر ، و مـــن فتـــح إلـــى فتـــح ، يفتـــح البـــلادَ بلداً...بلداً، و يحاصر الحصون حصناً ... حصنـــاً ، و يدخل الثغور ثغراً ... ثغراً ، صلحاً حيناً ، و حرباً

أحياناً آمرا جيشه أن لا يتعرّضوا للفلاحين ، أو العُــزّل من النساء و الولدان و المستضعفين ، لا يقاتلون إلا مَنْ حمل عليهم السلاحَ و قاتلهم ، متمسّكاً بسماحة الإسلام ، و عدالتِه ، و رحمته ، و إنسانيته .

و لقد ذكرتُ معـــاركَ خـــالد رضـــي الله عنـــه وانتصاراتِه العظيمة و السريعة و المتلاحقة مفصلة في ترجمته ضمن مجموعة (عمالقة الإسلام)

فلا حاجة لإعادتها هنا .

(عودة القيادة إلى المثنى في)
(حروب العراق)

بينما خالد رضي الله عنه في أوج انتصاراته على الفرس في العراق ، و قمّةِ مجده و سلطانه ، وعنفوان عزّه و تفوقه إذ بكتاب الخليفة الصديق رضي الله عنه يأتيه و هو في الحيرة يحمل إليه الأمرَ باستنابة المثنى بن حارثة في الإمارة ، و تحوُّل خالد إلى الشام ليكون عوناً لأمراء الجيوش الإسلامية هناك حيث إن الروم قد جمعوا لهم جموعاً كثيرة ، فإذا وصل خالد إلى الشام فهو الأمير عليهم .

و بهذا تكون قيادةُ الجيش الإسلامي قد عادت مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة في العراق ، فكان لها أهلاً ، و بها كُفُؤاً و جديراً .

كان الذعر قد سيطر على الفرس بعد الانتصارات الساحقة و السريعة من المسلمين ، و دبّت الفوضى في صفوفهم ، ووقع الرعب في قلوب جنودهم، خاصة بعد مقتل ملكهم و ابنِه .

فلما علموا بمغادرة خالد أرضَ العراق عاد إليهم الأمل ، و استردّوا عافيتَهم و جمعوا جموعَهم معتقدين أنهم يستطيعون النيلَ من المسلمين ، و إخراجهم من العراق بيسر و سهولة .

فاجتمعوا على شهريار بن أزدشير بن شهريار وتوجوه ملكا عليهم آملين أن تستقرّ الأمور السياسية في القصر الأبيض فيعيدوا مجدهم ، و يثأروا لأنفسهم ، ويستردّوا بسطَ نفوذِهم على العراق كلّه . فبعثوا إلى المثنى جيشاً كثيفاً يقدّر بعشرة آلافِ مقاتل ، يقودهم فارسٌ كبير ، و بطل مجرّب يقال له : (هرمز بن حادويه) فكتب ملك الفرس الجديد إلى المثنى ينذره بالحرب ، و يخوفه بجيشه الكبير الذي اغترّ به و اعتقد أنه لا يغلب يقول فيه :

إني قد بعثت إليك جنداً من وحشِ أهل فـــارس ،
إنما هم رعاةُ الدّجاج و الخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم.
فردّ عليه المثنى يقول : من المثنى بن حارثـــــة ، إلـــى
شهريار ، أما بعد : إنما أنت أحدُ رجلين ، إما باغٍ فذلك
شرٌّ لك ، وخير لنا ، و إما كاذبٌ فأعظم الكاذبين عقوبةً
و فضيحة عند الله في الناس الملوك . و أما الذي يدلّنـــا
عليه الرأي، فإنكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحمد لله الذي
رد كيدَكم إلى رعاة الدجاج و الخنازير .

فلمـــا سمع أهل فارس جوابَ المثنى إلى شهريار
لاموه على كلامه ، و استهجنوا رأيَه ، ووصفوه بالسفه
والحمق ، و ضعف السياسة و الإدارة ، و عدم الحكمة
في الحوار و مخاطبة القادة و الأمراء ، و ربّمـــا ثـــار
عليه بعضُهم ليخلعوه و يستبدلوا به رجلاً آخـــر يكـــون
أكثرَ حِلماً ، و أقوى سياسةً ، و أشدّ مرونة ، لا ســـيما
أن الظروف السياسية و العسكرية التي يمر بها الفرس
تتطلب الحكمة و المرونة و الروية ، و حســـن الإدارة
والتصرف .

(وقعة بابل)

و انطلق المثنّى بجيشه من الحِيرة إلى بابلَ ليلتقي بجيشِ الفرس ، بمكانٍ يقال له : عدوةُ الصراة الأولى ، فكان القتال بينهم قوياً ضارياً ، و اقتتل الفريقان قتـــالاً شديداً ، و كان يتقدّم جيشَ الفرس فيلٌ عظيم مـــدرَّب ، فلما رأته خيول المسلمين هابته و نفرت منه ، وفـــرّت من أرض المعركة ، فحمل عليه المثنّى فقتله ، و نادى بالمسلمين فعادوا إلى المعركة ، و حملوا على الفرس ، و شدّوا عليهم شدّةً قوية فكان النصر المظفـــر لـــهم . وللفرس هزيمةٌ منكرة حيث قُتل منـــهم عـــددٌ كبـــير ، فتركوا أرضَ المعركة ، و أداروا ظهورَهم و انطلقـــوا هاربين ، و لم يقفوا حتى بلغوا المدائنَ و كانت عاصمةَ ملكهم ، فدخلوها و هم في أسوأِ حال ، و شر هزيمـــة ، ليجدوا الأحوال السياسية أسوأً مما لحقهم من خسارة في الحرب ، و هزيمة منكرة أمام المسلمين .

لقد وجدوا الملك شهريار قد مات ، فملكوا عليهم (بوران بنت أبرويز) ابنة كسرى فلم يمض على مُلْكِها أقلُّ من سنتين حتى ماتتْ ، فملّكوا أختَها (أزرميدخت زنان) ، فلم تستقرّ الأمورُ ، و لم تهدأ الأحوالُ ، واشتد الخلاف في القصر الأبيض ، و استفحلَ الشرّ ، فخلعوا أزرميدخت و ملّكوا عليهم سابوربنَ شهريار ، و جعلوا أمره إلى الفرفزاذ بن البندوان ، فزوجه الملك سابور بابنة كسرى أزرميدخت المذكورة فأنفته ، و كرهت زواجها منه ، و قالت : إنما أنا ملكةٌ و ابنة ملك ، وهذا عبد من عبيدنا . . . !! فقام لنصرتها بعض الأشراف والقادة ، و رتبوا مؤامرة لتخليصها من الفرفزاذ و قتله و منع زواجها منه ، لأنهم رأوا أن هذه المهزلة لن تنتهيَ إلا بذلك .

و بمنتهى السرعة تسلل بعض الفرسان إلى مخدع الزوجين ، و في ليلة الزفاف انقضّ الفرسان على الفرفزاذ فقتلوه قبل إتمام مراسم الزواج ، ثم تحوَّلوا إلى

الملك سابور فقتلوه أيضاً ، و سيطروا على القصـــــر ، واعتقلوا حاشية سابور ، و قتلوا من ثار عليـــــهم مـــن أنصاره ، و أتوا بآزرميدخت بنت كسرى فتوّجوها ملكة عليهم مرة أخرى .

وهكذا نرى أن الأمور السياسية و الإدراية فـــي القصر الأبيض غير مستقرة حيث الفوضى ، و التسيب واللعب بالملك ، و التآمر على سياسة الدولة ، و القتـــل والاغتيال و تتويجُ هذا ملكاً ، و خلع ذالك ، و التصرف في أمور الدولة ، إلى غير ذلك من انعدام الأمن وانهيار الحكم ، و انفصال الجيش ، و تفكّك القيادة ممـــا جعـــل الوضع السياسيّ و العسكري بشكل عام ضعيفاً مَهلهلاً ، فكان هذا الضعف عند الفرس من فضل الله تعالى حيث انعكس قوّةً لصالح المسلمين ، فأعطاهم دفُعاً و تماسكاً ، ليتحوّلَ إلى نصر هائل ، و فتح مُبين أذهـــل المســـلمين أنفسَهم ، فعرفوا كيف يتصرّفون أمام ضعـــف الفـــرس وتفككهم ، فجعلوا منـــــه قـــوة و تضامنـــاً و تعاونـــاً ، وأصبحوا يداً واحدة ، و قلباً واحـــــداً و صفّـــاً واحـــداً

مطبقين قولَ اللهِ تبارك و تعالى : (إنَّ اللهَ يحبُ الذيـــن يقاتلون في سبيلهِ صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ)[١] .

و قولهُ تعالى : (يا أيها الذين آمنـــوا إذا لقيتـــم فئـــةً فاثبتوا و اذكروا اللهَ كثيراً لعلكم تفلحون . و أطيعـــوا اللهَ و رسولهُ و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهـــبَ ريحُكـــم واصبروا إنَّ اللهَ مع الصابرين)[٢] صدق الله العظيم .

و لعلَّ هذا الوضعَ غيرَ المستقر لـــدى الفـــرسِ والذي انتهى بتتويجِ آزرميدختَ ملكةً هو الذي بشَّرَ بـــه النبيُّ صلى الله عليه و سلم أصحابهُ بقولِهِ : (لن يفلـــحَ قومٌ و لَّوا أمرهُمُ امرأةً)[٣] . و هذا من معجزاتِ نبينـــا محمد صلى الله عليه و سلم ودلائلِ نبوتهِ ، فقد تحـــدث عن هذا الأمرِ قبل حدوثِهِ ، ثم حَدَثَ كما أخبر .

---

(١)الآية ٤ من سورة الصف . (٢) الآيتان ٤٥-٤٦ من سورة الأنفال .

(٣) الحديث صحيح رواه البخاري و أحمد و الترمذي و النسائي .

(ذهابُ المثنى مرةً أخرى لمقابلةِ)
(أبي بكرٍ الصديق)

أقلقتِ الأنباءُ المثنى بنَ حارثةَ رضـــي الله عنــه حين تأخَرتْ عنه الأنباءُ من الخليفةِ الصديقِ الذي شغلَتْهُ أمورُ الشامِ ، و تسييرُ الجيوشِ إلى اليرموكِ و تـــأمير الأمراءِ ، فقرر أن يذهبَ بنفسهِ إلـــى المدينـــةِ لمقابلـــةِ الصديقِ رضي الله عنه ، فاستتاب على العراق بشـــير ابنَ الخصاصيةِ و ذهب إلى المدينـــةِ ليجـــدَ أبـــا بكـــرٍ الصديقَ في مرضِ الموتِ .

فلما رأى الصديقُ المثنى مقبـــلاً عليـــه عـــرف قصدَهُ، وسببَ مجيئهِ فقال لعمرَ بنِ الخطابِ رضـــي الله عنه : إذا أنا مِتُّ فلا تُمسِيَنَّ حتى تندبَ الناسَ لحـــربِ أهلِ العراقِ مع المثنى ، و إذا فتح اللهُ علـــى أمرائِنـــا بالشامِ فارْدُدْ أصحابَ خالدٍ إلى العـــراقِ فإنـــهم أعلـــمُ بحربِهِ.

و تُوفيَّ الصديقُ رضي الله عنه و أرضاه و هو مرتاحُ الضميرِ ، مطمئنُ القلبِ على أمرِ المسلمين وحروبِهِم بعد أن قام بواجبِ الجهادِ في سبيل اللهِ ، وامتثل أمرَ اللهِ تبارك و تعالى بقتالِ مَنْ يليهم من الكفارِ.و بدأ بتحقيقِ حلمِ النبي صلى الله عليه و سلم بتحريرِ كاملِ الأرضِ العربيةِ ، كما وضع اللبناتِ الأولى على أرضٍ صلبةٍ و قويةٍ بتسييرِ الجيوشِ ، وتأميرِ الأمراءِ و إرسالهمِ إلى العراقِ و الشامِ كما تقدمَ.

و لما انتهى أمرُ الخلافةِ إلى عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه تابعَ مسيرةَ سلفِهِ الصديقِ ومشى على سنتهِ ، و طبق سياستهُ ، فندب المسلمين إلى الجهادِ في أرضِ العراقِ و حثَّهم على قتالِ الفرسِ ، و رغّبهم في ثواب الجهادِ في سبيلِ اللهِ و أجرِ المقاتلين فلم يستجبْ له أحدٌ لأن الناسَ كانوا يتهيبون لقاءَ الفرسِ ، و يخشون قتالهم لما سمعوا عنهم من قوةٍ ، و شدةِ بأسٍ ، و تفوقٍ في العددِ و العُدَّةِ ، لذلك لم يقمْ إليه أحدٌ .

ثم نَدَبَهم في اليومِ الثاني و الثالث ، فلم يقمْ إليه أحدٌ .

فقام المثنى بنَ حارثةَ يشجعُهم و يحثـــهم علـــى القتالِ ، ويخبرُهم عن أنباءِ قتاله معـــهم و انتصاراتـــهِ المتلاحقةِ عليهم ، و بما فتح الله عليه من معظـــمِ أرضِ العراق ، وما غنم منهم من أموالٍ و سلاحٍ و عتادٍ ، فلم يستجب له أحدٌ . فلما كان اليومُ الرابعُ قام المثنى خطيباً مرةً أخرى يلهبُ حماسَ الناسِ ، و يبينَ لهم حقيقةَ أمـــرِ الفرسِ و أنهم ليسوا كما يقالُ عنهم بأنهمَ الجيشَ الذي لا يُقهرَ ، و ما يروى عنهم من ذلك ما هو إلا ضربٌ مـــن الخرافةِ و الوهمِ لا حقيقةَ له و لا وجودَ .

ثم أكَّدَ لهم ذلك عن طريق الحقيقة و التجربـــةِ ، فقال : ونحن قاتلناهم و اشتبكنا معهم فـــي أكـــثر مـــن موقعةٍ ومشهدٍ ، فكان النصرُ حليفَنا في كلِ معركـــةٍ ، و لقد تساقطوا تحت ضرباتِ سيوفِنا كالذبابِ ، و هربـــوا أمامنا كالأرانبِ .

و لم يكدِ الناسَ يسمعون كـــلامَ المثنـــى حتـــى تحمسوا للقتالِ و اندفعوا يتسابقون للتطوع في سبيلِ اللهِ،

فكان أولَ المتطوعين أبو عبيدِ بنُ مسعودِ الثقفيُّ الـــذي قام يستنهضُ الناسَ ، و يلهبُ حماسَهم ، و يحثُهم علـــى القتالِ ، فدبّتِ الغيرةُ و الشهامةُ العربيةُ و الإسلاميةُ في نفوسِهِم ، فقاموا يستجيبون لنداء الجهادِ في سبيل الله بعد أن تحرروا من عقدةِ الخوفِ مـــن أســطورةِ الجيــشِ الفارسيّ و وضعوا نصـــبَ أعينــهمِ قــولَ اللهِ تبــارك وتعالى: (**انفروا خفافاً و ثقــالاً و جــاهدوا بــأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون**)[1]
و تتابع المتطوعون للقتالِ ، و تسابقوا إلى الإجابةِ حتى أصبح أمام أميرِ المؤمنين عمرَ رضي الله عنه عددٌ كبيرٌ من المقاتلين يمكنُ الاعتمادُ عليهم في القتالِ .

---

(١) الآية ٤١ من سورة التوبة .

(انتقالُ إمرةِ الجيشِ إلى)
(أبي عبيدِ الثقفي)

كان أبو عُبيدِ الثقفيُّ رضي الله عنه شاباً تقياً مؤمناً باللهِ و رسولهِ ، كما كان بطلاً مغواراً ، و فارساً شجاعاً ، وجوّاداً كريماً ، جديراً بالإمرةِ و القيادةِ والزعامةِ ، يبدو ذلك جلياً واضحاً من موقفهِ الباسلِ والشجاع يوم انتدبَ عمرُ رضي الله عنه الناسَ للقتالِ فلم يستجبْ له أحدٌ ، فكان أبو عبيدٍ أولَ المتطوعين ، فكان هذا دليلَ صدقِهِ و إخلاصِهِ و تفانيه ، و صلابتهِ في دينهِ ، وبلائهِ في سبيلِ اللهِ .

و هو والدُ صفيةَ زوجةِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهم جميعاً ، و والدُ المختارِ بنِ أبي عبيدٍ المعروفِ بكذابِ ثقيفٍ ، و لعلَّ المختارَ بن أبي عبيدٍ هو المعنيُّ بقولِ النبي صلى الله عليه و سلم : (يخرج من ثقيفٍ

كذابٌ ومبيرٌ) قال بعضُهم : الكذابُ ، هو المختارُ بـــن أبي عبيدٍ ، و المبيرُ ، هو الحجاجُ . . . و الله أعلم .

و للصفات النبيلةِ ، و المواقفِ الشجاعةِ لدى أبي عبيـــدٍ جعله عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه أميراً على الجنـدِ بدلاً مـــن المثنى بنِ حارثةَ الذي كان قد عزله عمرُ عن قيادةِ الجيشِ يومَ عَزَلَ خالدَ بنَ الوليدِ .

فاعترض الناسُ على إمرةِ أبي عبيدٍ لأنه لم يكـن صحابياً و استغربوا تأميره على الصحابةِ ، و قد كـــان معظمُ المتطوعين من الصحابة ، لذلك قال الناسُ لعمـــرَ رضي الله عنـــه : هــلاّ أمّــرْت عليـــهم رجـــلاً مـــن الصحابةِ..؟

فأجابهم عمرُ قائلاً : إنما أؤمّرُ أولَ مَنِ استجابَ ، إنكــم إنما سبقتمُ الناسَ بنصرةِ هذا الدينِ ، و إنَّ هذا هو الذي استجاب قبلكم . فانصاع الناسُ للحـــق ، و أيَّـدوا رأي عمرَ . ثم قام عمرُ رضي اللهُ عنه فأمَّرَ أبا عبيدة أمـــام الناسِ جميعاً ، و أخذ يوصيه بتقوى اللهِ فــــي نفســـهِ ، وفيمنْ معه من المسلمين خيراً .

ثم أمره أن يستشير أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و أن يستشير خاصّةً سَليط بنَ قيس فإنـــــه رجل باشر الحروب ، و له علم و خبرة ، و دراية وفن في مجال الحروب و القتال .

و انطلق المتطوّعون المسلمون إلى العراق تحت قيادة أبي عبيد الثقفي ، و عددهم سبعة آلاف مقاتل .

و كان عمر رضي الله عنه قد كتب لأبي عبيـــدة ابن الجراح بالشام أن يرسل الجنودَ الذين قدموا مع خالد ابن الوليد من العراق إلى الشام و يعيدهم إلى العـــراق وأمره أن يجعل عليهم هاشمَ بنَ عتبة بن أبي وقاص .

ذلك أن عمرَ رضي الله عنه يـــرى أن بإرســـال هؤلاء الجنود من الشام إلى العراق مصلحةً حقيقية فـــي سير عملية الحرب ، لأنهم سبق لهم أن خـــاضوا عـــدةَ معاركَ في أرض العراق ، فهم إذن يعرفون طبيعةَ تلك الأرض ، و طريقة القتال عند الفرس ، من أجل ذلـــك كتب إلى أبي عبيدة أن يعيدَ هؤلاء الجنودَ إلى العراق

عملاً بوصية أبي بكر الصديق الذي قال لعمر : إذا فتح الله على أمرائنا بالشام فارددْ أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه . ثم أرسل عمر رضي الله عنه جرير ابن عبد الله البجليّ في أربعة آلاف فارس إلى العراق ، فقدم الكوفة ، و ما إن خرج منها حتى التقـــى بجيـش للفرس و عليهم هرقران المدار ، فاشتبك معــه جريــر ودار بينهما قتال انتهى بمقتل هرقران المدار ، و هزيمة جيشه الذي غرق معظمه في نهر دجلة .

فلما دخل المسلمون العـــراق وجـدوا الفــرس مضطربين في ملكهم ، و آخر ما استقر عليه أمرَهم أن ملّكوا عليهم (بوران) بنتَ كسرى كما تقدم .

(وقعة النمارق)

انتهت قيادة الجيش عند الفرس إلى فارس كبير من فرسانهم يقال له : رستم و اشترطوا عليه أن يتولّى أمرَ الحرب عشرَ سنين ، ثم يؤول الملك إلى آل كسرى فقبل بذلك رستم .

و يروى أن رستم هذا كان بطلاً مغواراً يهاب الناس لقاءه ، و يخشَوْن ذكرَ اسمهِ .

و يُروى أنه كان منجّماً ، فقيل له : ما حملك على هذا ...؟

فقال لهم : الطمعُ ، وحبُّ الملك و الشرف .

بعد انتهاء أمر القتال إلى رستم أصبحت الأوضاعُ السياسيةُ عند الفرس شبهَ مستقرة ، فأخذ رستم يتأهّب للقاء العرب المسلمين ، فبعث أميراً يقال له

(جابان) ثم أتبعه بفارسين كبيرين : الأوّل يقـال لـه : حشنس ماه ، و الآخر يقال له : مردانشاه ، فالتقَوا مـع أبي عبيد بمكان يقال له : (النمارق) [1] و على خيـل المسلمين المثنى بن حارثة ، و على الميسرة عمرُو بـن الهيثم فدارت بين الجيشين معركةٌ قوية انتـهت بنصـر عظيم وكاسح للمسلمين ، و هزيمـةٍ قبيحـة و منكـرة للفرس ، وفيها تـمَّ أسـر قـائدي الفـرس (جابـان ومردانشاه) فأما مردانشاه فقد قتله آسره . وأما جابـان فإنه استطاع أن يخدع آسرَه ، فأطلقه فهرب، فأمسـكه المسلمون و أخذوه إلى أميرهم أبي عبيد، فقـالوا لـه : اقتله فإنه الأمير .

فقال : و إن كان الأمير فإني لا أقتله ، و قد أمّنه رجـل من المسلمين .

---

(١)موضع بين الحيرة و القادسية .

و لم يقف المسلمون عند هزيمة الفرس ، و لم يكتفوا بتلك الهزيمة ، فركبوا في أثرهم و انطلقوا يلاحقونهم حتى ألجؤوهم إلى مدينة كسكر و كان يحكمها (نرسى) ابن خالة كسرى ، فجمع نرسى جنوده و خرج لقتال أبي عبيد الذي كان له بالمِرْصاد ، و متيقّظاً لحركاته و مكره أشدَّ التيقظ و الحرص ، فتصدّى له وقاتله قتالاً شديداً اضطر نرسى أن يهربَ ويخلّفَ وراءه أموالاً كثيرة غنمها المسلمون .

و راح المسلمون يطاردون نرسى و جنودَه حتى أدركوهم بمكان بين كسكر و السقاطية ، و كان رستم قد جهز جيشاً كبيراً مع الجالينوس للكرة على المسلمين الذين التقوا معهم في معركة أخرى التقى فيها أبو عبيد بالجالينوس الذي لم يستطع الصمود أمام أبي عبيد وجنوده المؤمنين فهرب من المعركة ، و تبعَه جيشُه الذي تفرّق في الأرض تائهاً متقهقراً ، أما نرسى

والجالينوس فقد هربا إلى المدائنِ و تركا جيشَهما تائهاً في الصحراءِ لا يدري أين يتوجّهُ ، أو إلى أين يذهبُ ، و أعزَّ اللهُ عز و جل عبادَه المؤمنين ، و أذلَّ الفرسَ أتباعَ النارِ و الشياطين .

و لقد خلَّدَ أحدُ المقاتلين المسلمين هذه المعركةَ المظفرةَ بأبياتٍ من الشعرِ قال فيها :

لعمري و ما عمري عليَّ بهينٍ لقد صُبّحَتْ بالخزي أهلُ النمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهِم يجوسونهم ما بين دِرنا و بارقِ
قتلناهمُ ما بين مرجِ مسلَّحٍ وبين الهواني من طريقِ التدارقِ

فأرسل أبو عُبَيدٍ المثنى بنَ حارثةَ على رأسِ عددٍ من الفرسانِ الأشداءِ للإغارةِ على الفرسِ القاطنين حولهم كنهرِ جورٍ و غيرِهِ من المدنِ و القرى ففتحها صلحاً وحرباً ، و ضرب الجزيةَ ، و غنم الأموالَ ، و هابه كلُّ مَنْ سمع به و علم بأخبار بطولاتِهِ و انتصاراتِهِ ، والحمد لله رب العالمين .

(معركةِ الجسرِ)

تمهيد :

وقعَتْ أحداثُ معركةِ الجسرِ في شهرِ شعبانَ سنةَ ثلاثَ عشرةَ من هجرةِ النبي صلى الله عليه وسلم .

و يروى أنها وقعَتْ بعد معركةِ اليرموكِ بأربعين يوماً .... و الله أعلمُ .

لقد كانت معركةُ الجسرِ بمثابةِ ابتلاءٍ و امتحانٍ ، و اختبارٍ و تمحيصٍ للمسلمين بعد معاركَ قويةٍ و كثيرةٍ انتهتْ جميعُها بنصرٍ قويٍ و حاسمٍ للمسلمين الذين بدَتْ منهم بطولاتٌ رائعةٌ ، و صمودٌ قويٌ و مشرفٌ كُلِلَ بعونٍ مطلقٍ ، و تأييدٍ كاملٍ من اللهِ تعالى الذي ضَمِنَ لهم النصرَ إنْ هُمُ التزموا أوامرَهُ و اجتنبوا نواهَيهُ ، وأخذوا بالأسبابِ التي شرعها اللهُ عز وجل لهم لقتالِ أعدائِهِ وهي : الصبرُ ، و تقوى اللهِ تعالى ، و التعاونُ

على البرِ و التقوى ، و الاستعدادُ العسكريُّ و المعنـــويُّ لخوضِ المعاركِ الفاصلةِ ، و الصدقُ ، و إخلاصُ النيةِ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ لإعلاءِ كلمتِهِ ، و نشرِ دينِهِ ، لا للشهرةِ ، و لا للرياءِ و السمعةِ ، و لا لكســـب الجـــاهِ والشرفِ ، أو الطمعِ بالمالِ و الغنيمةِ ، و غيرِ ذلك من الأسباب المشروعةِ للقتالِ ، و في ذلك يقولُ رســـولُ اللهِ صلى الله عليه و سلم : (من قاتل لتكونَ كلمةُ اللهِ هـــي العليا فهو في سبيلِ الله) و يقولُ الله تبارك و تعـــالى :

(و أعِدّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ و مِنْ رباطِ الخيـــلِ ترهبون به عدوَّ اللهِ وعدوَّكم و آخرين من دونِـــهِم لا تعلمونهمَ اللهَ يعلمَهم و ما تنفقوا من شيءٍ في ســـبيلِ اللهِ يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلَمون)[١]

(و لَينصُرَنَّ اللهَ مَنْ ينصُرُهُ إنَّ اللهَ لقويٌّ عزيزٌ) [٢]

(كم مِنْ فئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فئةً كثيرةً بإذنِ اللهِ و اللهُ مـــع الصابرين) [٣]

---

(١)الآية ٦٠ من سورة الأنفال . (٢) الآية ٤٠ من سورة الحج .

(٣) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة .

(قل للذين كفروا ستُغلبون و تُحشـــرون إلـــى جـــهنم وبئس المـهاد . قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتـــا فئـــة تقاتل في سبيل الله و أخرى كافرة يرونـهم مثليْـهم رأيَ العين والله يؤيّد بنصره من يشاء إن في ذلـــك لعـــبرةً لأولـي الأبصار)[١]

و هذا النصر و التأييد من الله تعـــالى ممـــدود و غـــير محدود بزمان ، و كلما استوفى المؤمنون شروط الإمداد والدعم و النصر أمدهم الله تعالى بها .

---

(١)الآيتان ١٢-١٣ من سورة آل عمران .

(سيرُ المعركةِ)

أراد الفرسُ أن ينتقموا لما أصابهم من هزائمَ منكرةٍ و متلاحقةٍ في موقعةِ النمارقِ و غيرِها ، و لما لحق بهم من فشلٍ ذريعٍ ، و خيبةِ أملٍ كبيرةٍ بهروبِ أميرِ جيشِهمُ الجالينوسِ الذي أغضبهم غضباً شديداً ، وأفقدهُمُ الثقةَ بأنفسِهِم و قوتِهِمُ التي اغتروا بها ، وأصيبوا بمرضِ الكبرِ و الغرورِ و الغطرسةِ ، و ما ازدادوا به إلا ضعفاً ووهناً و خسراناً ، وشراً وهزيمةً. فتذامروا ، و اجتمعوا إلى رستم ، و اتفقوا معه أن يبعثوا جيشاً كبيراً ، و أن يؤمّروا عليه قائداً عنيداً لتأديب المسلمين ، و الانتقامِ منهم ، و طردِهِم من أرضِ العراقِ ، ثأراً لأنفسِهِم ، و استرداداً لكرامتِهِم .

لقدِ اختاروا لهذا الأمرِ الجللِ فارساً صنديداً ذا خبرةٍ عسكريةٍ فائقةٍ ، و مهارةٍ حربيةٍ كبيرةٍ يقالُ له : بهمسُ بنُ حادوَيهِ ، و يلقَّبُ بذي الحاجبِ ، ووضعوا

كلَّ ثقتِهِم و أماناتِهِم فيه ، و علَّقوا آمالاً كبـــيرةً عليـــه بالنصرِ على المسلمين و تأديبِهِم ، و دفعوا إليـــه رايـــةَ أفريدون ، و تُسمّى (درفـــش كابيـــان) و هـــي كمـــا يعتقدون رايةٌ محميةٌ و مقدسَةٌ ، و كانوا يتيمنون بها فلا يحملُها أحدٌ إلا بورِكَ و انتصرَ ، و لا يرفعُها جيشٌ إلا ظفِرَ و فتَحَ .

(استعدادُ الفريقين عقائدياً)

و انطلق الفرسُ للقاءِ المسلمين و قد حملوا رايــةَ كسرى ، و كانَتْ من جلودِ النمورِ ، و عرضُها ثمانيـــةُ أذرعٍ ، بينما كان المسلمون يحملون في قلوبِهِم عقيــــدةً سديدةً تؤمنُ باللهِ و اليومِ الآخرِ ، و تؤمنُ بأن النصـــرَ والظفرَ من عند اللهِ واهبِ القُوى و القــدرةِ ، و مــانحِ التأييدِ و الفتحِ لمن آمَنَ به و توكَّلَ عليه . و يحفظــون في صدورِهِم و بين جوانِحِهِم آيـــاتِ اللهِ تعــالى بــها ينيمّنون النصرَ ، و بها يُلهَمون الصبرَ والثباتَ لينـــالوا الفتحَ و النصرَ بقلوبٍ عامرةٍ بالإيمانِ ، طافحةٍ بالثقـــةِ ، مؤمنةٍ بأن اللهَ مع الذين اتقوا و الذين هـــم محســنون ، واثقةٍ أنه ما يُلَقّاها إّلا الذين صبروا و ما يُلَقّاهـــا إّلا ذو حَظٍ عظيمٍ .

فشتّانَ[1] بين قلوبٍ مشركةٍ مجوسيةٍ تعــبدُ النارَ

---

(١) شتان : بَعُدَ .

و تشرك باللهِ ، و تؤمنُ بالخرافةِ و الوهـــمِ ، و تتيمّـــنُ برايةٍ لا تضرُّ و لا تنفعُ ، و لا تبصــــرُ و لا تســـمعُ ، وتضعُ عليها كلَّ آمالِها و أمانيها . و بين قلوبٍ مؤمنـــةٍ تقيةٍ نقيةٍ ، تعبدُ اللهَ وحدَه ، ولا تشركُ به شيئاً ، وتعتمدُ عليه في جميع أمورِها ، وتؤمنُ إيماناً مطلقاً بأنه وحـــده الضارُ و النــــافعُ ، والفـــاعلُ و المدبـــرُ ، و المريـــدُ والمختارُ، و الناصرُ و الفاتحُ ، والخالقُ و الرازقُ ، إليه الفضلُ و البركةُ ، و الخيرُ والنعمُ و الآلاءُ (**و ما بكـــم من نعمةٍ فمِنَ الله**) [1] و تتلو صباحَ مســـاءَ قـــولَ اللهِ تبارك و تعالى : (**إنْ ينصُرْكُمُ اللهُ فلا غالبَ لكـــم و إنْ يخذلْكم فمنْ ذا الذي ينصُرُكم مــــن بعـــدِهِ و علــــى اللهِ فلْيتوكلِ المؤمنون**) [2]

و قولَهُ تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إن تنصُـــــرُوا اللهَ ينصُرْكم و يثبتْ أقدامَكم . و الذين كفروا فتعســـاً لـــهم وأضلَّ أعمالَهم . ذلك بأنهم كرِهوا مــــا أنزلَ اللهُ فأحبَطَ**

---

(١)الآية ٥٣ من سورة النحل .

(٢)الآية ١٦٠ من سورة آل عمران .

أعمالَهم أفلم يسيروا في الأرضِ فينظروا كيـــف كـــان عاقبةُ الذين من قبلهم دمَّـــرَ اللهُ عليـــهم و للكـــافرين أمثالُها. ذلك بأنَّ اللهَ مولى الذين آمنوا و أنَّ الكـــافرين لا مولى لهم) (١)

فشتّانَ بين هؤلاءِ و هؤلاءِ ٠٠٠!!

شتّانَ بين مَنْ كان اللهُ وليَّـــهُ ، و بيـــن مَـــنْ لا ولـــيَّ له٠٠٠!!

(إنَّ وليِّيَ اللهُ الـــذي نـــزّلَ الكتـــابَ و هـــو يتولّـــى الصالحين)(٢)

(اللهُ وليُّ الذين آمنوا يخرجُهم من الظلماتِ إلى النـــور والذين كفروا أولياؤهُمُ الطاغوتُ يخرجونهم مِنَ النـــورِ إلى الظلماتِ أولئك أصحابُ النارِ هُمْ فيها خالدون) (٣)

(مَثَلُ الفريقين كالأعمى و الأصمّ و البصيرِ و الســـميعِ هل يستويان مثلاً ٠٠٠؟ أفلا تذكّرون) (٤)

أي مَثَلُ المؤمنِ كالبصيرِ و السميعِ ، و مَثَـــلُ الـــكافِرِ

---

(١)الآيات ٧-١١ من سورة محمد . (٢) الآية ١٩٦ من سورة الأعراف.

(٣)الآية ٢٥٧ من سورة البقرة . (٤) الآية ٢٤ من سورة هود .

كـــالأعمى و الأصَـــمِّ و هـــل يســـــتوي الأعمــــى والبصيرُ ٠٠٠؟، و الأصَمُّ و السميعُ ٠٠٠؟ اللهم لا .

قال تعالى مجيباً عن هذا السؤالِ ، و موضحـــاً معنـــى الآيةِ في آيةٍ أخرى : **(و ما يستوي الأعمى و البصيرُ. و لا الظلماتُ و لا النورُ . و لا الظـــلُّ و لا الحـــرورُ . وما يستوي الأحياءُ و لا الأمواتُ إنَّ اللهَ يَســـمعُ مَـــنْ يشاءُ و ما أنتَ بمسْمعٍ مَنْ في القبورِ)** [1]

و هذه الأمثلةُ تنطبقُ على العقيدةِ التي يحملُها الفـــرسُ ، و العقيدةِ التي يحملُها المسلمون ليس فـــي لقائِـــهِم فـــي معركةِ الجسرِ فحسب ، بل في كلِ حالةٍ مـــن أحـــوالِ الفريقين و في كلِ شأنٍ من شئونِهِم فـــي يـــومِ الجســـرِ وسائِرِ الأيامِ ، و اللهُ مع المتقين .

---

(١)الآيات ١٩-٢٢ من سورة فاطر .

(بدءُ القتالِ)

التقى الجيشان وجهاً لوجهٍ و قد حال بينهما نـــهرُ الفراتِ و عليه جسرٌ ، فقالتِ الفرسُ : إمّا أن تعـــبروا إلينا ، و إمّا أن نعبرَ إليكم .

فقال المسلمون لأميرِهِم أبي عَبَيدٍ : قل لهم أن يعـــبروا إلينا .

فقال أبو عُبَيد : ما هم بأجرأ على الموتِ مِنّا ، ثم اقتحم إليهم بفرسِهِ رافعاً صوتَهُ بالتهليلِ و التكبيرِ .

فتبعَـــهُ المســـلمون و هـــم يـــردّدون نشـــيدَهُمُ الرائعَ ... الله أكبرُ ... الله أكبرُ ... فاجتمعوا للقتـــالِ في مكانٍ ضيقٍ و دارَ القتالُ بينهم قوياً ضارياً ، و قاتل المسلمون قتالاً شديداً ، و ثبتوا يومئـــذٍ ثباتـــاً رائعـــاً ، وصبروا صبراً مشرفاً لم يعهدوا مثْلهُ ، و كانوا نحـــواً من عشرةِ آلافِ مقاتلٍ ، في حين كان الفرسُ أضعـــافَ ذلك فقد كان جيشُهم كبيراً و عظيماً يتقدمَهُ فيلٌ أبيـــضُ

ضخمٌ جداً يتبعُهُ عـــددٌ هــائلٌ مــن الفيلـــةِ و عليـــها الجلاجلُ[1]، فلمّا رأتها خيلُ المسلمين ذُعِــرَتْ منـــها ، و هربَتْ أمامَها لعدمِ تدريبِها على الصمودِ أمامَ الفيلـــةِ ، فكان الفرسُ كلما حملوا على المسلمين فَــرَّتْ خيولُــهم خوفاً من الفيلةِ ، و لم يثبتْ منها إلّا القليلُ على قسرٍ من فرسانِها . و إذا حمل المسلمون على الفرسِ أحجمَـــتْ خيولُهم فلم تتقدمْ نحو الفيلةِ ، فكانت تقفُ مكانها ثم تكرُّ راجعةً ، الأمرُ الذي أضعَفَ موقفَ المسلمين ، و جعـل موقفَ الفرسِ قوياً ، فأخذوا يرشقون المسلمين بوابلٍ من سهامِهِم فقتلوا منهم عدداً كبيراً .

وقف أميرُ المسلمين أبو عُبَيـــدٍ يتفحَّــصُ ســيرَ المعركةِ فرأى أن الغلبةَ التي أصابتِ جيشَهُ ما هـــي إلا بسببِ هجومِ الفيلةِ و صياحِها و رنينِ أجراسِها ، فــرأى أن المعركة لن تُحسَمَ إلا بقتلِ تلك الفيلةِ ، فجعل ينـــادي المسلمين أنِ اقتلوا الفيلةَ فــهي التــي أثارتِ الذعرَ بين خيلِ المسلمين . فترك المسلمون قتالَ الفرسِ و كَرَّسوا

---

(١)الجلاجل : الأجراس .

جهدَهم لقتلِ الفيلةِ لعلّ وجهَ المعركةِ يتغيرٌ لصالِحِــــهم ، فاحتوشوها وقتلوها عن آخرِها .

و بذلك ارتفعَتْ معنوياتُ المســـلمين ، و قويَــتْ روحُهُمُ القتاليةُ حين رأَوا بأعينِهِم مصارعَ الفيلةِ ، وزال عن خيلِهِم ما أصابها من الخوفِ و الذعـــرِ فضــاعفوا جهودَهم ، و استردّوا عافيتَهم ، و شدّوا علــى الفــرسِ شدةً قويةً ، و مالَتْ كفةُ المعركةِ لصـــالحِ المســلمين ، والحمد للهِ ربِ العالمين .

(مقتل أميرِ المسلمين)

وقف أميرُ المسلمين أبو عُبَيْدٍ الثقفيُّ يحثُّ المسلمين على القتالِ و الثباتِ في وجهِ العدوِ ، ويوصيهِم بتقوى اللهِ تعالى و التعاونِ ، و الأخذِ الكاملِ بأسبابِ النصرِ ، و يبينُ لهم إن هو مات في هذه المعركةِ ، فإن أميرَ الجيشِ مكانه فلانٌ ، فإن قُتِلَ تسلَّمَ الإمرةَ بعده فلانٌ ... و هكذا حتى أوصى بالإمرةِ لسبعةِ أمراءَ بعدَهُ .

ثم انقضّوا على الفيلةِ فاحتوشوها حتى قتلوها عن آخرِها ، و انقضَّ أبو عُبَيْدٍ على أكبرِ الفيلةِ و أضخمِها و هو الفيلُ الأبيضُ الذي كان يتقدَّمُها ، فحمل عليه فضرب خرطومه بالسيفِ فقطعَهُ ، فلم يمُتْ بل حمي عليه، و صاح صيحةً قويةً هائلةً و هجم على أبي عُبَيدٍ و جعل يتخبطُهُ برجليه حتى مات رضي اللهُ عنه وأرضاه ، ثم وقف عليه ، فحمل عليه نائبُهُ الأولُ الذي

أوصى له أن يكونَ أميراً بعده ، فقتلهُ الفيلُ ، ثم تقــــدَّمَ النائبُ الآخرَ فقُتِلَ ، و الثالثُ فقُتِلَ ••• و هكذا حتــــى قُتِلَ النوّابُ السبعةُ و جميعُهم من ثقيفٍ .

و كانت دومةُ امرأةُ أبي عُبَيد قد رأَتْ مناماً يــدلُّ على ما حَدَثَ لأبي عُبَيدٍ سواءً بسواءٍ .

(عودةُ الإمرةِ إلى)
(المثنى بنِ حارثةَ)

بعد مقتلِ الأمراءِ السبعةِ الذين عيَّنَهم أبو عُبيـــدٍ عادتِ الإمارةُ إلى المثنى بنِ حارثةَ بمقتضى الوصيةِ . و كان المقاتلون المسلمون قـــدِ انــهارَتْ معنوياتُــهم ، وضعُفَتْ قواهم ، و أصابَهمُ الوهنُ حين رأوا أمراءَهـــم يُقتَلون الواحَد بعد الآخرِ ، و كانتِ الدائرةُ أوشـــكَتْ أن تدورَ على الفرسِ ، و أصبح نصـــرُ المسـلمين قــابَ قوسينِ أو أدنى ، لولا أنهم رأوا مـــا رأوا مِــنْ مقتــلِ أمرائِهم ، فانهارَتْ قواهم وولَّـــوا مدبريـــن ، فتبعَـــهُمُ الفرسُ، و لحقوا بهم ، و قتلوا منهم عدداً كبـــيراً ، ولا يزالون مدبرين حتى بلغوا الجسرَ ، فمرَّ بعضُهم فانكسر بهم ، و سقط عددٌ كبيرٌ منهم فمات غرقاً فـــي الفراتِ ، وتبعَهُمُ الفرسُ يقتلونهم حتى قتلوا يومئذٍ أربعـــةَ آلافٍ ، فإنا للهِ و إنا إليه راجعون .

(المثنى و إنقاذ جيش)
(المسلمين)

لما رأى المثنى رضي الله عنه ما حَلَّ بجيشِه حزن حزناً شديداً ، و اعتصَرَ ألماً على ما وقع بالمسلمين من خوفٍ و قتلٍ و هزيمةٍ ، ثم انتفضَ كما ينتفضُ الأسدُ في عرينِهِ ، و رأى أن الواجبَ يقضي عليه أن ينتصرَ على الحزنِ ، و يتفوَّقَ على الآلامِ ، ولا يستسلمَ لليأسِ و القنوطِ ، و لا بدَّ مِنْ إيجادِ خطةٍ ذكيةٍ لإنقاذِ المسلمين ممّا هم فيه من ضعفٍ و تقهقرٍ و هزيمةٍ لم يسبقْ لهم أن رأوا مثلَها ، أو مَرُّوا بها في تاريخِهِم .

وقف المثنى رضي اللهُ عنه أمام الجسرِ ، و جعل ينظرُ إلى الناسِ و هم متقهقرون لدرجةٍ أن بعضَهم أخذ يلقي بنفسِهِ في الفراتِ لشدةِ ما لقي من يأسٍ في النجاةِ ، و قنوطٍ من الحياةِ ، فجعل المثنى يناديهم و يقولُ : أيها

الناسُ ، على هينتِكم ، فإني واقفٌ على فـم الجسـر لا أجوزُه حتى لا يبقى منكم أحدٌ ههنا ، فسمع الناسُ نداءهُ و تشجيعَهُ ، فدبَتْ فيهم الروحُ ، و عاد إليـهمُ الأمـلُ وجعلوا يجتازون النهرَ إلى الضفةِ الأخرى حتى التقـوا جميعاً عندها ، فأخذهم و مضى بهم حتى نزل بمكـانٍ آمنٍ ، و كانوا قد أصيبوا بتعبٍ و إعياءٍ شديدَين ، و لم يكادوا يخلدون إلى الراحةِ حتى ضرب اللهُ النومَ علـى أعينِهم ، فمنهم مَنْ كان جريحاً ، و منهم من كان جائعاً، و منهم من كان عطشان ، أو منهوكَ القوى ، أو خـائرَ العزيمةِ ، أو فاقدَ القوةِ المعنويةِ فهم بحاجةٍ ماسةٍ لراحةِ الجسمِ و الأعصابِ ، و الخلودِ إلى النومِ لاستعادةِ قوتِهم و نشاطِهم ، فناموا ، و بات أميرُهُمُ المثنـى يحرسُـهم ومعه عددٌ من الفرسانِ ، و جعل المثنى يتفقدُهم بعـد أن أحصى عَدَدَ القتلى ، و علم أنَّ منهم مَـنْ ذهـبَ فـي الصحراءِ فضاع فيها و هو لا يدري أين يذهـبُ ، ولا إلى أيةِ جهةٍ يتوجَّهُ ، و منهم مَنْ ذهـب إلـى المدينـةِ مذعوراً خائفاً وجلاً .

و قد رويَ أنَّ أولَ مَنْ وصل بالخبرِ إلى المدينـةِ عُبيدُ اللهِ بنُ عاصمٍ المزنيُّ الذي دخل مسجدَ رسـولِ الله صلى الله عليه و سلم فوجد أميرَ المؤمنين عمــرَ بــنَ الخطابِ رضي الله عنه قائمـاً علــى المنـبرِ يخطــبُ بالمسلمين ، فسأله عمرُ :

ما وراءَكَ يا عبيدَ اللهِ ...؟

قال : أتاكَ الخبرُ اليقينُ يا أميرَ المؤمنين .

ثم صعِدَ إليه المنبرَ فأخبَرهُ الخبرَ ســراً كــي لا تدبَّ الفوضى بين المسلمين ، أو يتسربَ إليهم الضعــفُ و الوهنُ ، و يكثرَ القيلُ و القالُ .

و يروى أن أولَ مَنْ قدِم بالخبر إلى المدينةِ عبــدُ اللهِ بنُ يزيدَ بنِ الحُصَيَنِ . هذا ... و لم يعاقبْ أمــيرُ المؤمنين عمر رضي الله عنه الذين فَــرُّوا مــن أرضِ المعركةِ ، و لم يؤنِّبْ أحداً لأنه يعلمُ الظــروفَ التــي أحاطتِ المسلمين يومَ الجسرِ ، والابتلاءَ الذي أصابهم .

كما أنه يعلمُ حقيقةَ جندِهِ و نواياهم و إخلاصَــــهم لدينِهم و صدقَهم مع ربِهِم ، فعذَرَهم و قال لـــهم : أنــا فيئكم [1] ، ذلك أنه يعلم أنهم لم يفروا عن خوفٍ وجبنٍ، و لاشكٍ و لا ارتيابٍ ، و لولا سقوطُ الجسرِ وتكسيرُهُ ، و لولا وقوعُ المسلمين في النهرِ لكانتِ النتـــائجُ عكــسَ ذلك ، و لكن ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً.

و مَنْ يدري ... لعل اللهَ عزَّ و جـــلَّ أراد أن يبتليَ عبادَهُ بأنواعِ المحنِ و الشدائدِ ليثيبَــهم ، و يرفــعُ منازلَهم ، و يضاعفَ لهمُ الأجرَ .

و في معركةِ الجسرِ حين ولَّوا مدبريـــن و قــد أصابهمُ القتلُ و الوهنُ ، و الضعفُ و النعاسُ ، والجوعُ و العطشُ ، و فقدوا كلَّ أسبابِ القوى المعنويةِ و الماديةِ أراد اللهُ تبارك و تعالى أن ينزلَ عليهم نعمةً عظيمــةً ، ويمدَّهم بسلاحٍ قوي جداً .

لقد ضرب الله عز وجـل النومَ عـلى أعينهم ، فنــاموا و أخذوا قسـطاً وافـراً مــن راحــةِ الجسـمِ

---

(١)فيئكم : مرجعكم ، و فاء الرجل يفيء فيئاً : رجع .

و الاعصابِ ،واستعادوا نشاطَهم و عافيتَهم ، و في ذلك يقولُ اللهُ تبارك و تعالى :

(إذ يغشّيكُمْ النعاسَ أمنةً منه و ينزلُ عليكم من السماءِ ماءٍ ليطهرَكم به و يُذهِبَ عنكم رجزَ الشيطانِ وليربطَ على قلوبِكم و يثبتَ به الأقدام) [(١)]

و يقولُ تعالى :

(ثم أنزلَ عليكم من بعدِ الغمِ أَمَنَةً نعاساً يغشى طائفةً منكم و طائفةٌ قد أهمَّتْهم أنفسُهَم يظنون باللهِ غيرَ الحق ظنَّ الجاهليةِ) [(٢)]

فالنعاسُ و النومُ إذن من الأسلحةِ المعنويةِ التي أمدَّ اللهُ تعالى بها عبادَه المؤمنين لاستعادةِ القوةِ الماديةِ والمعنويةِ ، و ذلك فضلُ اللهِ عليهم ، و كان فضلُ اللهِ على عبادِه عظيماً .

و كأن اللهَ عز و جل يخاطبُ عبادَه مرةً أخرى بعد أن خاطبهم يومَ أحدٍ ليضعَ في قلوبِهمُ الصبرَ والسلوانَ ، و يسكبَ فيها الأملَ ، و يفتحَ لها أبوابَ

---

(١)الآية ١١ من سورة الأنفال . (٢)الآية ١٥٤ من سورة آل عمران .

الرجاءِ فـــلا تيأسْ ، و لا تقنطْ ، و لا تـــشعرُ بالخيبـــةِ والضياعِ ، فقال تعالى :

(هذا بيانٌ للناسِ و هدىً و موعظةٌ للمتقيـــن . ولا تهنوا و لا تحزنوا و أنتمُ الأعلَون إنْ كنتم مؤمنين. إنْ يمسَسْكم قرحٌ [1] فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثلُهُ و تلـــك الأيامُ نداولُها بين الناس و ليعلمَ اللهُ الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداءَ و اللهُ لا يحبُّ الظالمين . و ليمحّـــصَ اللهُ الذين آمنوا و يمحقَ الكافرين . أمْ حسبتم أن تدخلـــوا الجنةَ ولمّا يعلمِ اللهُ الذيـــن جـاهدوا منكـــم و يعلـــمَ الصابرين) [2] صدق الله العظيم و للهِ عز وجـــل فـــي عبادِهِ سننٌ لم تنقضِ ، و لم تنتهِ ، و لم تتخلّفْ . كمـــا أنها لن تنقضيَ، و لن تنتهيَ ، و لن تتخلّفَ .

فهو يختبرُ عبادَه بما يشـــاءُ ، و كمـــا يشـــاءُ ، ويؤيدُهم متى يشاءُ ، و كيفما يشاءُ ، و ينصرُهُـــم بمـــا يشاءُ ، و متى يشاءُ ، فلا يُسألُ عمّا يفعلُ و هم يُسألون،

---

(١)القرح : الجراح .

(٢)الآيات ١٣٨-١٤٢ من سورة آل عمران .

و هو القائلُ سبحانه و تعالى : (إنْ ينصُرْكُــمُ اللهُ فــلا غالبَ لكم و إن يخذُلكم فمنْ ذا الــذي ينصُرُكــم مِــنْ بعدِه،...؟ و على اللهِ فلْيتوكلِ المؤمنون) [1]

(١)الآية ١٦٠ من سورة آل عمران .

(عودةُ الثقةِ إلى)
(المسلمين)

أراد اللهُ عز وجل أن يعيدَ الثقـــةَ إلـــى عبـــادِهِ المؤمنين ، فضرب قلوبَ الفـــرسِ بعضَـــهم ببعـــضٍ ، فاختلفوا فيما بينهم ، و انشغلوا بأمرِ ملكِهم .

فقد حدث أن أهلَ المدائنِ عَـــدَوا علـــى رســـتمَ فخلعوه ، ووقع الشرُّ بينـــهم ، و اضطربـــت أمورُهـــم وكادوا يقتتلون ، ثم أعادوا رستمَ إلى منصبهِ و أضـــافوا إليه الفيرزان ، ثم اختلفوا على فرقتين ، منهمً المؤيـــدُ ، و منهمً المعارضُ .

و هكذا شُغِلوا بأنفسِهم ، وردَّ اللهُ ســـهامَهم إلـــى نحورِهم ، و شغلهم عن المسلمين الذين عرفـــوا كيـــف يستفيدون من هذا الخلافِ ، و يستغلونه لصالحِ حربِهم ، فكان هذا من فضلِ اللهِ عليهم ، و من أســـبابِ النصـــرِ والدعمِ و التأييدِ .

بلغتِ الأخبارُ المثنى بــنَ حارثــةَ الــذي علــم بالخلافِ الواقعِ في القصرِ الأبيــضِ بــالمدائنِ ، و أن الجيشَ الفارسيَّ قد تجمَّع عندها ، فركب المثنى في عدد من فرسانِهِ ، و انطلق نحو المدائنِ ، فاعترض طريقــهُ أميران من أمرائِهم فدارت بينه و بينهما معركةٌ قويــةٌ انتهت بمقتلِ عددٍ كبيرٍ من جنــودِ الفــرسِ ، و أســرِ الأميرين و مَنْ نجا من القتلِ ، فلم يُتْركوا عالــةً فــأمر المثنى بقتلِهم جميعاً ، فقُتِلوا .

و قد أراد الأميرُ المثنى أن يعززَ جيشَهُ لينتشــرَ في بلادِ الفرسِ ، ليعيدَ الثقةَ إلى نفوسِ جنودِهِ ، و ينتقم لقتلى المســلمين ، و يُظــهِرَ لعــدوِهِ القــوةَ و البــأسَ والشجاعةَ .

فأرسل إلى جميعِ أمراءِ المسلمين في العــراقِ أن ينضمّوا إليه ليشكلوا معاً قوةً قويــةً ضاربــةً ، توجــعُ الفرسَ ضرباً ، و تشلُّ حركتَهم ، و تقضي عليهم .

فاستجابوا له ، لكنهم لم يأتوا إليه جميعاً بل بعثوا إليه بالإمدادِ ليبقواهم في أماكنِهِم متشبثين بالبلادِ التــــي فتحوها .و هذا أيضاً رأيٌ سديدٌ من هــؤلاءِ الأمــراءِ ، فالانسحابُ من بلادٍ فتحوها ، و قدّموا لفتحِــها أعــداداً هائلةً من الشهداءِ ، و بذلوا في سبيلِ ذلك الفتحِ جـــهداً كبيراً ، و تعباً مضنياً ، و مشقةً جسيمةً ، ثم يغادرونها ويتركونها لتعودَ بكــلِ يســرٍ و ســهولةٍ إلــى أيــدي الفرسِ ٠٠٠!!

من أجلِ هذا ظلوا في أماكنِهِم و أرسلوا إلــــى المثنــى بالإمدادِ .و إتماماً لخطةِ المثنى بعث إلى أميرِ المؤمنين عمرَ رضي اللهُ عنه يستمدُهُ بالجنودِ فاستجاب له عمـــرُ وبعث إليه جريرَ بنَ عبدِ الله البجليَّ أميراً علـــى قومِـــهِ بُجيلةَ بكمالِها .

كما بعث إليه عمرُ أميراً آخرَ و معه عــددٌ مـــن ساداتِ المسلمين و خيرةِ فرسانِهِم ، و بذلك يكــونُ قــدِ

اجتمعَ للمثنى عددٌ لا بأسَ به من المقـــاتلين المســـلمين يستطيعُ بهمُ الثأرَ لقتلى المسلمين ، و القصاصِ العـــادلِ من الفرسِ مجتمعين .

(القصاصُ)

تسرّبَتِ الأنباءُ إلى الفرسِ بتجمُّعِ الجيوشِ العربيةِ الإسلاميةِ ، فغضبوا لذلك غضباً شديداً ، و جهزوا جيشاً كبيراً ، و أقَرّوا عليه فارساً عنيداً يقالُ له : (مهران) وانطلقوا للقاءِ المسلمين ، فالتقوا بهم بموضعٍ يقالُ له (البويبُ) [1]فحال بينهمُ الفراتُ فقالوا للمسلمين : إمّا أن تعبروا إلينا أو نعبرَ إليكم .

فقال المسلمون : بلِ اعبروا إلينا .

فعبرتِ الفرسُ إليهم ، و ذلك في شهرِ رمضانَ المباركِ ، فأمر المثنى جنودَهُ أن يفطروا ليكونَ أقوى لهم على القتالِ .

و جعل المثنى يدورُ بنفسِهِ على كلِ رايةٍ من راياتِ القبائلِ يتفقدُ استعدادَهم و يعظُهم بتقوى الله،

(١)البويب : نهر كان بالعراق موضعَ الكوفة ، يأخذ من الفرات .

ويحثُهم على الجهادِ في سبيلِ الله ، و يـــأمُرُهم بـــالصبرِ والثباتِ حتى إذا اطمأنَّ لنشاطِهِم و حماسِهِم ، و رفـــعِ معنوياتِهِم ، و أيقنَ مِن استعدادِهِمُ التامِ للقاءِ عدوهِـــم ، قال لهم : إني مكبرٌ ثلاثَ تكبيراتٍ فتهيئوا ، فإذا كبرتُ الرابعةَ فاحملوا عليهم حملةَ رجلٍ واحدٍ . فقابلوا كلامَـــهُ بالسمعِ و الطاعةِ و القبولِ .

فلما كبَّر المثنى أولَ تكبـــيرةٍ عاجلَتْـــهمُ الفـــرسُ لينالوا منهم ، و ليكونوا أولَ مَنْ يضـــــربُ ، و كأنـــهم فهموا ما قال المثنى ، ثم حمل عليهمُ المسلمون ، وصمدوا أمامهم ، و ثبتوا لهم بكـــلِ قـــوةٍ و صـــبرٍ ، وشجاعةٍ و استبسالٍ .

و في أرضِ المعركةِ وقفَ البطلُ المثنى يرقـــبُ القتالَ ، و ينظرُ إلى وضعِ جنودِهِ ، فأبصر في بعضِ

الصفوفِ خللاً ، فبعث إليهم رجلاً يقولُ لهم : الأميرُ يقرأُ عليكمُ السلامَ و يقولُ لكم : لا تفضحوا العربَ اليومَ، فاعتدلوا ، و سوّوا صفوفَهم و سدّوا ذلك الخللَ.

فنظر إليهمُ المثنى ، و سُرَّ من فعلِهم و تجاوبِهم، و استبشرَ خيراً ، و أيقنَ بنصرِ اللهِ ، و جعل يناديهم : يا معشرَ المسلمين ، انصروا اللهَ ينصُرْكم و يثبتْ أقدامكم ثم توجَّهَ إلى ربهِ عز وجل بقلبِهِ ، و ابتهل إليه بلسانِهِ طالباً النصرَ و الفتح و أخذ المسلمون يدعون ربَهم و هم يقاتلون ، و جعلوا يرفعون أصواتَهم بالتهليلِ و التكبيرِ .

هذا ... و قد طالَتْ مدةُ الحربِ ، و تحمَّلَ الفريقان شدتَها و أهوالَها و قاسى الجميعُ لظاها ولأواءها، و ثبت المسلمون ثباتاً قوياً ، و صمدوا صموداً مشرفاً و ضربوا أروعَ الأمثلةِ في الصبرِ والشجاعةِ و الثباتِ لم يسبقْ أن شهدَتِ الدنيا مثلَها بطولةً و روعةً ، و بهاءً و شدةً و مضاءً .

فلما رأى المثنى أن مدةَ الحربِ قد طالَتْ أراد أن يحسمَها ليجنبَ جنودَهُ أخطاراً قد تكونُ أشدَّ و أقسى من معركةِ يومِ الجسرِ .

فجمع بعضَ الفرسانِ الأشداءِ و طلب منهم أن يحموا ظهرَهُ و انطلق في أرضِ المعركةِ كالسهمِ النافذِ يصولُ و يجولُ بين صفوفِ الفرسِ يضربُ بسيفِهِ البتارِ يميناً و شمالاً فتتساقطُ رؤوسُ جنودِ الفرسِ تحت ضرباتِ يمينِهِ كالذبابِ المترنحِ ، و يتابعُ ضرباتِهِ المتتاليةَ مخترقاً صفوفَ العدوِ و كأنَّ الطريقَ مفتوحةٌ أمامه و خاليةٌ من الجنودِ ، و من أيةِ مقاومةٍ .

و يمضي البطلُ منطلقاً في أرضِ المعركةِ يبحثُ عن مهرانَ قائدِ الجيشِ الفارسي ، فلما أبصَرهُ حمل عليه و أخذ يقاتلُهُ حتى أزالَهُ عن موقعِهِ و دخل ميمنةَ جيشِهِ حتى توارى عن أنظارِ المثنى .

فأبصره غلامٌ نصرانيٌ من بني تغلب فتصدّى له

فقتلَهُ و أخذ فرسَهُ . و قيل : حمل عليه المنذرُ بنُ حسانَ ابنِ ضرارِ الضبّيُّ فطعنه بسيفِهِ طعنةً أثبتتْهُ ، فتقدم إليه جريرُ بنُ عبدِ الله فاحتزّ رأسَهُ .

فلما رأى جنودُ الفرسِ مصرعَ أميرِهم تركوا القتالَ ، و غادروا أرضَ المعركةِ ، و اشتدوا هاربين ، فركب المسلمون أكتافَهم ، و أعملوا فيهم سيوفَهم ، يضربون بها رؤوسَهم فيفصلونها عن أكتافِهِم.

هذا ... و المسلمون حريصون حرصاً شديداً أن يسبقوا الفرسَ إلى الجسرِ ليمنعوهم من الجوازِ عليه كي لا يفوزوا بالنجاةِ .

و لقدِ استؤنِفَ القتالُ مرةً أخرى أمام الجسرِ وكلُّ فريقٍ حريصٌ أن يسبقَ خصمَه إليه ، و استمرَّ القتالُ قوياً ضارباً طيلةَ النهارِ متصلاً بالليلِ حتى لقد قُتِلَ من الفرسِ في تلك المعركةِ و في اليومِ و الليلةِ ما يقاربُ

المئة ألفٍ بين قتيلٍ و غريقٍ ، و تركوا وراءهم أمــوالا وفيرةً ، و عتاداً كثيراً أخذها المسلمون فيئاً و غنيمةً .

و كذلك قتل يومئذٍ من المسلمين عـــددٌ كبــيرٌ ، ولكنِ النهايةُ كانت لصـــالحِ المســلمين ، فــهمُ الذيــن انتصروا في تلك المعركةِ انتصاراً ساحقاً ، و فتـــح اللهُ عليهم فتحاً مبيناً و الحمد لله رب العالمين .

و بذلك يكونُ المسلمون قدِ انتقموا لأنفسِهِم انتقاماً عظيماً ، و ثأروا لقتلاهم ثاراً شديداً أنســاهم هزيمتَــهم ومرارتَهم في معركةِ الجسرِ .

قال المؤرخون : و ذلَّتْ لـــهذه الوقعـــةِ رقـــابُ الفرسِ ، و تمكن المسلمون من الإغاراتِ فـــي بلادِهِــم فيما بين الفراتِ و دجلةَ ، فغنموا مغانمَ كثيرةً ، لا يمكنُ حصرُها .

و قد قال أحدُ المقاتلين المسلمين و هو يخلدُ هذه

المعركةَ المظفرةَ ، و هو الأعورُ الشنّي العبدي :

هاجَتْ لأعورَ دارُ الحي أحزانا واستبدلت بعد عبدِ القيسِ حَسّانا

وقـــد أرانا بها و الشملُ مجتمعٌ إذ بالنخيلةِ قتلـــى جـــندُ مهرانا

إذ كان سار المثنى بالخيولِ لهم فقتَّلَ الزحفَ من فرسٍ و جيلانا

سما لمهرانَ و الجيشِ الذي معه حتـــى أبادهم مـــثنى ووحـــدانا

(محاولة يائسة)
(من الفرس)

رأى الفرسُ ما حلَّ بهم مـــن هزائـــمَ منكــرةٍ ، وخسائرَ متلاحقةٍ أمام المسلمين فأحسوا بفقدان هيبتِـــهِم ، و ذهابِ ريحِهم ، و تعرضِ كرامتِهم للمذلةِ و الإهانةِ .

و شعروا باهتزازِ عرشِ ملكِـــهِم ، و تعرضِـــهِ للتهاوي و السقوطِ على أيدي المسلمين ، خاصةً و قـــد علموا أنهم يعززون قوتَهم ، و يجمعونــــها فـــي أرضِ العراقِ تحت قيادةِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضي الله عنـــه الذي يلَقَّبُ بالأسد في براثنِهِ و تسربَتِ إليهمُ الأنباءُ بـــأن سعداً ليس كغيرِهِ من الأمراءِ و القادةِ المسلمين الذيـــــن خبروهم ، و اشتبكوا معهم ، فـــهو الفـــارسُ العربـــيُّ الكبيرُ، و القائدُ الذي لا يُهزَمُ ، و البطلُ الذي لا يُشَقُّ له

غبارٌ ، و هو الصحابيُّ الجليلُ الذي كـــان رســولُ الله صلى الله عليه وسلم يفخرُ به أمـــام الصحـــبِ الكـــرامِ جميعاً، و يقربُهُ منه ، و يقومُ احتراماً لـــه ، و يُجلِسُـــهُ مكانه و يقولُ لأصحابِهِ مفتخراً : هذا خالي ، فلْـــيُرني امرؤٌ خالَهُ ...!!

كما أنه الفارسُ الذي كان له سلاحان : دعاؤه و رمحُـــهُ حتى لقدِ اشتُهِرَ بين جميعِ المسلمين أنه إذا دعا اللهَ عـــز وجل بدعاءٍ أجابَهُ ، و إذا ضرب فـــي الحـــربِ عـــدواً أصابه ، و ذلك بفضلِ دعاءِ رسول الله صلى الله عليـــه وسلم له بقولِهِ : اللهم سَدِّدْ رميَتَهُ ، و أجبْ دعوتَه .

علم الفرسُ عن سعدٍ رضي الله عنه كـــلَّ هـــذه المعلوماتِ ، و أخذوا عنه ترجمةً وافيةً و كاملةً جعلتهم يحيطون بتفاصيل حياتِهِ و أحوالِهِ و عاداتِـــهِ فـــأجمعوا أمرَهم أن يولّوا قائداً قوياً ، و فارساً عنيداً يكون جديـــراً لهذه المهمةِ الصعبةِ و الشاقةِ ، و أهلاً لتحملِ أعبائِها

وأثقالِها للتصدي للقائدِ سعدٍ و ردعِهِ ، و من ثمَّ طــــردِهِ من أرضِ العراقِ .

فاجتمعوا لهذا الأمرِ ، و اتفقوا على توليةِ رســتم و الفيرزان لهذه المهمـــــة . فتذامــروا فيمــا بينــهم ، وتواصَوا على ضرورةِ تنفيذِها لسلامةِ فـــارس إعـــادةً لكرامتِهِم ، و حفظاً لماءِ وجوهِهِم أمام الامبراطوريـــــة الرومانيةِ الكبرى التي تنافسُهم على السيطرةِ و الزعامةِ في الأرضِ العربيةِ .

فقالوا لرستم و الفيرزانِ : لئن لم تقوما بـــالحربِ كما يجبُ ، و تطردا العربَ المســـلمين مــن أرضِنـــا لنقتلنكما ، و نشتفي بكما .

كما أنهم رأوا أن مصلحةُ فارس تقتضي تغيـــيراً جذرياً في القيادةِ السياسيةِ مرةً أخرى ، فيجـــبُ عــزل الملكةِ التي توّجوها مرتين ، و تنحُيتها عـــنِ الحكــمِ ، وتوليةُ رجلٍ قويٍ يكونُ أهلاً للملكِ ، وجديراً بتحمـــلِ

أعباءِ الحكمِ و سياسةِ الدولةِ ، متصفاً بالحزمِ و القــــوةِ والصرامةِ أمام الظروفـِ القاسيةِ و الحرجةِ التي تمرُّ بها الدولةُ الفارسيةُ .

(اجتماعُ الفرسِ على تتويجِ)
(يزدجردَ)

قبل أن نذكر مَنْ سيولّيه الفرسُ ملكاً عليهم لا بدَّ أن نرجعَ قليلاً إلى الوراءِ لنضربَ في أغوارِ الماضي السحيقِ ، لنعرفَ ما جرى في القصرِ الأبيضِ بالمدائنِ قبل إحدى و عشرين سنةً .

و ذلك يوم جمع شيرين آلَ كسرى في القصرِ الأبيضِ ، و أمر بقتلِ جميعِ ذكرانِهم و كانت أمُّ يزدجردَ بينهم و معها ابنُها و هو صغيرٌ ، فلما أحسَّتْ بالخطرِ عليه خافَتْ عليه القتلَ فواعَدَتْ إخوتَها ، فقدموا عليها سراً ، و بكل حذرٍ و دقةٍ و حيطةٍ أخذوا الغلامَ و ذهبوا به بعيداً حيث لا يعلمُ بمكانِهِ أحدٌ ، و لا تصلُ إليه عيونُ شيرينَ و رجالُهُ .

و مرّتِ الأيامُ ، و توالــتِ السـنون ، و قــامَتِ الحروبُ بينهم و بين الجيوشِ الإسلاميةِ القادمةِ إليهم من الصحراءِ ، فأذاقتهم مُرَّ الهزائمِ ، و نكّسَتْ راياتِـــهِم ، وقتلَتْ خيرةَ فرسانِهم ، و فتَحَتْ معظمَ بلادِهم ، وألحقَتْ بهم خسائرَ جسيمةً في الرجالِ و الأمـــوالِ و البـــلادِ ، وقضَتْ على غطرستِهم و كبريائِهم و جعلتـــهم و لأولِ مرةٍ يشعرون بالضعفِ ، و مرارةِ الذلِ ، و خيبةِ الأملِ.

فلما استفحل الخطر الإســـلاميُّ فـــي بلادِهـــم ، ولمسوا ما حَلَّ بهم يوم معركةِ البويبِ و قتْلِ من قُتِـــلَ من فرسانِهم و أمرائِهم ، اجتمعوا لقتـــالِ المســلمين ، وأمَّروا رستمَ و الفيرزانَ كما مَرَّ ، و خلعوا بـــورانَ ، وأخذوا يبحثون عن رجلٍ حازمٍ و قويٍ يجعلونه ملكاً ، ولا بدَّ أن يكونَ ذلك الرجلُ من سلالةِ كسرى و أحفـــادِهِ فرأوا أن يبعثوا خلف نساءِ كسرى في كل فجٍ ، و فـــي كلِ مكانٍ .

فجعلوا إذا جاءَتهمُ المرأةُ سألوها : هل لها ولدٌ ، فتنكرُ عليهم ذلك خوفاً على ولدِها من القتلِ .

فأحضروها و معها ولدُها يزدجردُ ، و كان قد بلغ مــن العمرِ إحدى و عشرين سنةً ، و هو من ولدِ شهريارُ بنِ كسرى فتوجوه ملكاً .

هذا ... و قدِ استوثَقَتْ له الممالكُ ، و اجتمعَتْ عليه فارس ، و أيدوه و فرحوا به ، و قاموا بين يديــه أتمَّ قيامٍ حتى استفحل أمرُه فيهم ، و قويَتْ به شوكتُهم ، و بعثوا إلى الأقاليمِ و المناطقِ و المدنِ في جميعِ فارس فخلعوا طاعةَ المسلمين ، و نقضوا العهودَ و المواثيقَ ، و خفروا الذممَ ، و تمردوا على المسلمين ، و امتنعــوا من أداءِ الجزيةِ ، و هم يعتقدون أن أمرَهم قدِ اســتقامَ ، وأنهم قادرون على مقاومة المسلمين و طردهــم متــى أرادوا ، و هم لا يعلمون أنهم قــادمون إلــى المــوتِ باختيارِهِم ، و مقبلون علــى حتفِــهِم بإرادتِــهِم ، و أن اجتماعَهم على يزدجردَ يعني نهايتَهُ و نهايتَهم .

ذلك أن يزدجردَ هذا كـــان طائشــاً متــهوراً ، وطاغيةً غاشماً ، و أحمقَ ظالماً ، و باغياً في الأرضِ،

و صلفاً مغروراً ، و متغطرساً جباراً ، و تلك صفــــاتٌ يجبُ أن لا تجتمعَ في حاكمٍ أو ملكٍ أو مسؤولٍ ، لأنـــها في النهايةِ سوف تؤدي بصاحبها إلى الهلاكِ و المــوتِ المحققِ .

ذلك أن القوةَ إذا لم توجهـها الحكمــةُ القويــةُ ، والإرادةُ الصحيحةُ ، و العقلُ الســديدُ كــانَتْ تــهوراً وطيشاً، و أوردَتْ صاحبَها في النهايةِ مــورِدُ الــهلاكِ والعطب ، و في ذلك يقولُ رسولُ الله صلى الله عليـــه وسلم : (**ليس الشديدُ بالصُرعةِ ، إنما الشــديدُ الــذي يملكُ نفسَهُ عند الغضب**) [1]

لقد زيَّن الشيطانُ للفرسِ أعمالَهم ، و قادَهم إلـــى حتفِهِم ، وورطهم في حربٍ غيرِ متكافئةٍ ، و عمّا قريبٍ سوف يتخلّى عنهم ، و يتركَهم عرضةً لسيوفِ المسلمين تتسلطُ على رقابِهم ، و تذيقُهم ألَــمَ القتــلِ ، و مــرارةَ الهزيمةِ ، وذُلَّ الخيبةِ و التشردِ ، و تمزقُهم شرَّ ممزقٍ

---

(١)متفق عليه .

لقوله تعالى :

(كمثلِ الشيطانِ إذ قال للإنسانِ اكفرْ فلمّا كفر قال إنــي بريءٌ منك إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين . فكان عاقبتَهما أنهما في النارِ خالدَيْنِ فيها و ذلك جزاءُ الظالمين) [(١)]

صدق الله العظيم .

و في ذلك يقولُ الحقّ تبارك و تعالى و هو ينهى عبادَه المؤمنين أن يصابوا بمرضِ الكبرِ و الغرورِ ، أو يسمعوا لداعي الشرِ ، أو يستجيبوا لنــوازعِ الشيطـــانِ **(و لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارِهِم بطراً و رئـــاءَ الناسِ و يصدون عن ســـبيلِ الله و اللهُ بمـــا يعملــون محيطٌ. و إذ زيَّنَ لهمُ الشيطانُ أعمالَهم و قال لا غالبَ لكمُ اليومَ من الناسِ و إني جارٌ لكم فلما تراءَتِ الفئتانِ**

(١)الآيتان ١٦-١٧ من سورة الحشر

نكَصَ على عقبيهِ و قال إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا تَرَون إني أخافُ اللهَ و اللهُ شديدُ العقابِ) [1]

هذا هو حالُ الفرسِ ، و ما أصيبوا به من غطرسةٍ وكبرياءَ ، و غرورٍ و صلفٍ . أمّا حالُ المسلمين فقد كان على عكسِ ذلك تماماً .

إنهم يلتزمون أوامرَ اللهِ تعالى ، و لا يخرجون عن طاعتِهِ ، و لا يشركون به شيئاً ، يتعاونون على البر و التقوى ، و لا يتعاونون على الفحشاءِ و المنكرِ ، يأمرون بالمعروفِ و يحبون الخيرَ لجميعِ الناسِ ، ويطبقون قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُ لنفسِهِ) [2]

---

(١)الآيتان ٤٧-٤٨من سورة الأنفال (٢) رواه مسلم

(مَثَلُ المؤمنين في توادّهم و تعاطفِهم و تراحمِهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ و الحمى) [1]

و هذا هو السرُ في نجاحِهم و فلاحِهم و نصرِهِم و تأييدِ اللهِ تعالى لهم . و هم الذين سمعوا بأن الفرسَ قد جمعوا لهم ، و اجتمعوا حولَ يزدجردَ و توجوه ملكاً ، و خلعوا طاعةَ المسلمين ، و نقضوا عهودَهم و مواثيقَهم ، لم يجزعوا ، و لم تضعفْ همتُهم ، و لم تهنْ عزيمتُهم ، فأرسلوا إلى أمير المؤمنين عمرَ رضي اللهُ عنه يخبرونه الخبرَ ، و يستشيرونه بالأمرِ .

فكتب إليهم عمرُ رضي اللهُ عنه يأمُرُهم بالخروجِ من أرضِ الفرسِ و ليكونوا على أطرافِ البلادِ ،

---

(١) متفق عليه .

وليْختاروا أماكنَ تواجدِ المياهِ على الأنـــهارِ و العيــونِ وغيرِها ، و أن تكونَ كلُّ قبيلةٍ قريبةً مِنَ الأخرى بحيثُ تراها و تنظرُ إليها ، حتى إذا ما حَدَثَ حَدَثٌ ، و حصل أمرٌ على قبيلةٍ لا يخفى أمرُها على الأخـــرى ، فتـــهبُّ لنجدتِها و نصرتِها .

و قد نفَّذَ المسلمون أمرَ عمرَ رضي الله عنه الذي أهمَّهُ أمرُ المسلمين في العراقِ ، علــــى أثــرِ اجتمـــاعِ الفرسِ ، و نقضِهِمُ العهودَ و المواثيقَ ، و تجهيزِ جيشٍ كبيرٍ لقتالِ المسلمين .

خاتمة في نسبِ أبي عبيد
أميرِ المسلمين في يوم الجسر

هو أبو عُبَيدٍ بنِ مسعودٍ الثقفيُّ .

أسلم في حياةِ النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعْ به ، فلهذا لم يُذكرْ في الصحابةِ ، و ذكره ابنُ الأثيرِ في أُسدِ الغابةِ ، و ذكره ابنُ العمادِ في شذراتِ الذهب وقـــال : كان له صحبةٌ . و تقدم أن عمر رضي الله عنه بعثه في جيشٍ كثيفٍ إلى العراقِ لقتالِ الفرسِ سنةَ ثلاثَ عشرةَ ، فقُتِلَ شهيداً ، و قتل معه يومئذٍ أربعةُ آلافٍ من المسلمين كما تقدم ، رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

و قد عرف ذلك الجسرُ الذي دارَتْ رحا المعركةِ عنده بجسر أبي عبيد لاستشهادِهِ عنده ، وهو جسرٌ على الفراتِ ، و قيل على دجلةَ و الله أعلم .

فرضي الله عنه وعن جميع شهداء المسلمين فـــي معركة يوم الجسر وغيرها إلى يـــوم الديـــن ، وقبـــل

عملهم، وشكر سعيهم، وأسكنهم فسيحَ جناتِهِ مع الذيـــــن أنعم اللهُ عليـــهم مـــن النبيـــن والصديقيـــن والشـــهداءِ والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً .

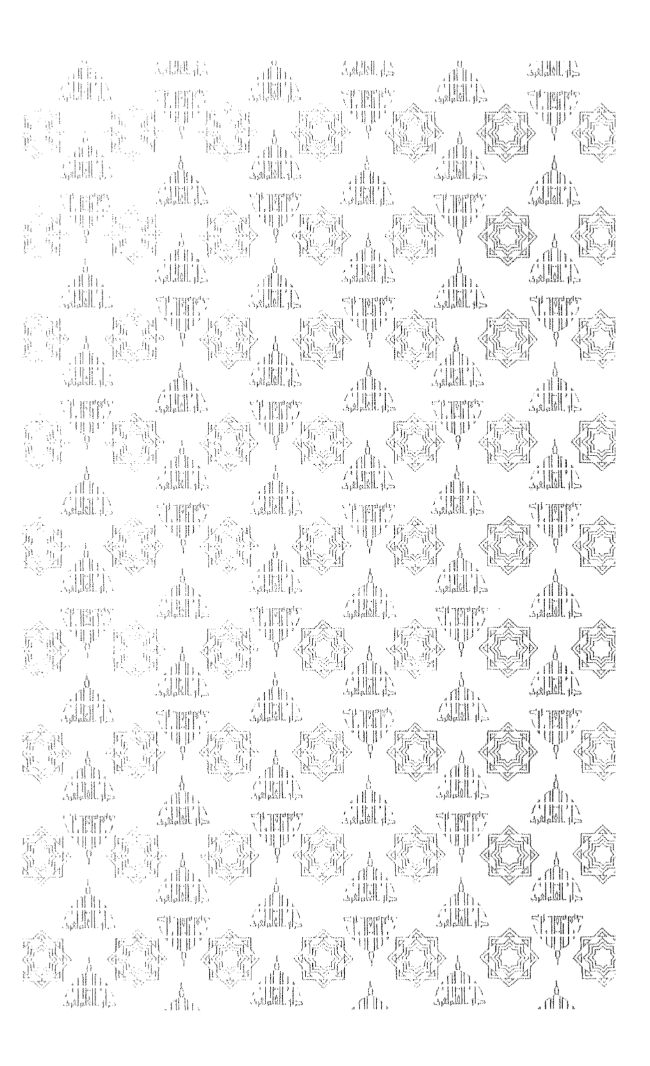
تمتِ الرسالةُ و الحمد لله ربِ العالمين

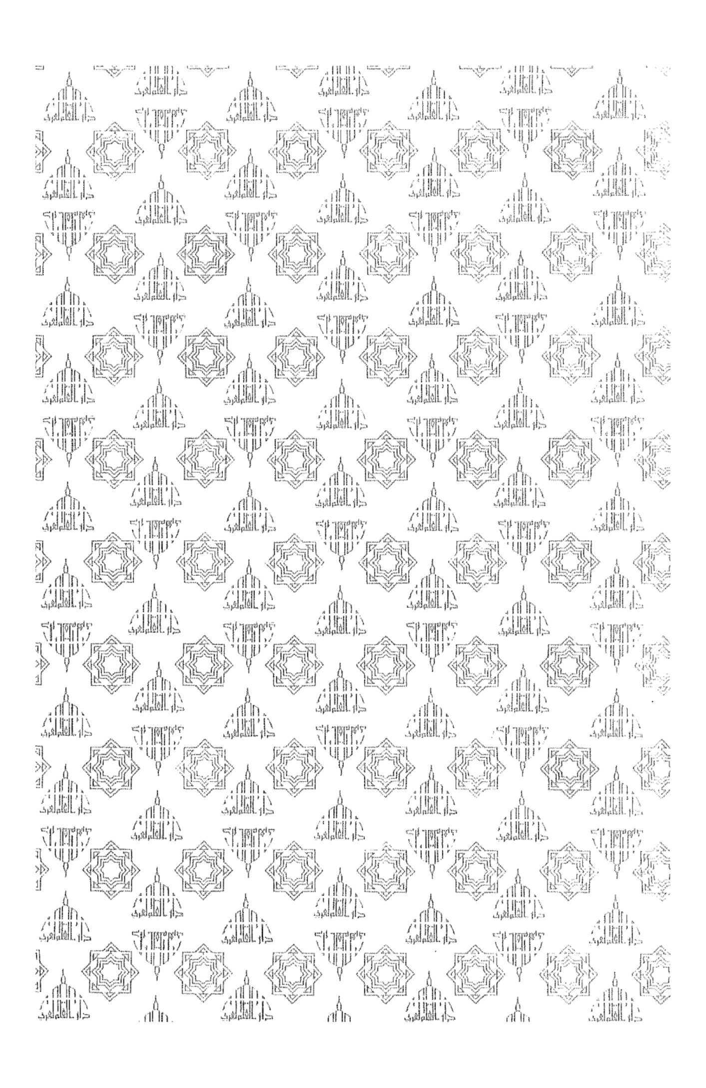
و إلى اللقاء مع معركةٍ خالدةٍ أخرى

الفهـــــرس

معركة الجسر	٣
آداب الجهاد في الإسلام	٧
أولاً :	
آداب الجهاد في القرآن	٧
ثانياً :	
في السنة النبوية	١١
ثالثاً :	
في العهد الراشدي	١٤
التمهيد لمعركة الجسر	٢٣
حكم الحبشة في اليمن	٢٥
زوال حكم الفرس من اليمن	٣١
المثنى بن حارثة و حروبه	٣٧
قدوم المثنى على أبى بكر الصديق	٤١
مسير خالد بن الوليد إلى العراق	٤٥
خالد يراسل ولاة كسرى و نوابه	٥١
عودة القيادة الى المثنى في حروب العراق	٥٥

وقعة بابل ٥٩
ذهاب المثنى مرة اخرى لمقابلة أبى بكر الصديق ٦٣
انتقال إمرة الجيش الى أبى عبيد الثقفي ٦٧
وقعة النمارق ٧١
معركة الجسر ٧٥
تمهيد ٧٥
سير المعركة ٧٩
استعداد الفريقين عقائديا ٨١
بدء القتال ٨٥
مقتل أمير المسلمين ٨٩
عودة الإمراة إلى المثنى بن حارثة ٩١
المثنى و إنقاذ جيش المسلمين ٩٣
عودة الثقة الى المسلمين ١٠١
القصاص ١٠٥
محاولة يائسة من الفرس ١١٣
اجتماع الفرس على تتويج يزدجرد ١١٧
خاتمة في نسب أبي عبيد أمير المسلمين في يوم الجسر ١٢٥





معارك عربية إسلامية خالدة

للصغار واليافعين

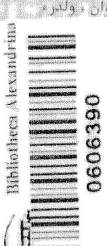
١ ـ معركة ذي قار
٢ ـ معارك بدر
٣ ـ معركة أحد
٤ ـ معركة الخندق
٥ ـ معركة حنين
٦ ـ معركة اليمامة
٧ ـ معركة اليرموك
٨ ـ معركة الجسر
٩ ـ معركة القادسية
١٠ ـ معركة فتح المدائن
١١ ـ معركة نهاوند
١٢ ـ معركة فتح الاندلس
١٣ ـ معركة بلاط الشهداء
١٤ ـ معركة وادي الحجارة
١٥ ـ معركة العمورية
١٦ ـ معركة الزلاقة
١٧ ـ معركة حطين
١٨ ـ معركة بيت المقدس
١٩ ـ معركة عكا
٢٠ ـ معركة عين جالوت

لم تكن الحربُ لدى العرب المسلمين غاية لذاتها ، وإنما كانت لرد العدوان ، ولدرء الأخطار ، ولإزاحة أولئك الذين يقفون في وجه الدعوة ويحولون دو... وهي معارك تشمل على بطولات وتضحيات وجود بالنفس (والجود ... غاية الجود).

ودار القلم العربي للأطفال بحلب ـ إذ تنشر هذه الكتب ـ إنما تسعى ... نفوس الأبناء حبّ التضحية والفداء ، وحبّ آبائهم الذين بذلوا دماء... شامخة لايدنسها مستعمرٌ غاشم.

والله من وراء القصد

الناشر



I.S.B.N: 1 - 5050 - 3

